روايات احلام

أرض الضياع

بلا عنوان
Rewity.com

أرض الضياع

عندما التقت فينيلا للمرة الأولى بسايمون كانت ما تزال صغيرة في السابعة عشرة ... والآن بعد أربع سنوات من البعاد أدركت أنه لم يتغير شيء ، فما زال سايمون حبها الأول والأخير ، ومازالت ذكرى رفضه لها لا تفارق خيالها وتؤجج نار الانتقام في داخلها ...

كانت فينيلا تعلم جيداً أن عاقبة هذا الانتقام ستنقلب عليها ولكنها لم تجد خياراً آخر فسايمون يريد منها كل شيء ويبخل عليها بالشيء الوحيد الذي تريده ... قلبه !! ...

www.Beauty.com

١ ـ رحلة بلا عودة

قالت الآنسة ويلز وهي تقطب في وجه فينيلا:

ـ نظراً لخبرتك الضئيلة فإن أفضل ما أستطيع عرضه عليك هو وظيفة مربية أطفال في منطقة نائية.. لكنني أعتقد أنك لن تهتمي بالعرض.

دفعت فينيلا خُصلة شعر سوداء عن وجهها.. واتسعت عيناها. للحظة أرادت فعلاً أن تضحك.. مربية أطفال، وفي منطقة نائية؟ لماذا لم تخطر ببالها تلك الفكرة؟ سيكون العمل مناسباً تماماً بعد قضاء أربع سنوات في المدينة، سيكون هذا كالعودة إلى الوطن.

مالت إلى الأمام قليلاً ودقات قلبها تتسارع:

ـ أنا مهتمة جداً آنسة ويلز.. أين هو المكان بالضبط؟

نظرت الآنسة ويلز بعينين ضيقتين إلى الفتاة البيضاء البشرة، التي تحيط بعينيها الزرقاوين المائلتين إلى لون الدخان ظلال بنفسجية.. إنها فتاة هزيلة تعطي الإنطباع أنها ستذوب بعد ساعة من تعرضها لشمس البراري البعيدة.. وقالت:

ـ إلى نبو ساوث وايلز الغربية البعيدة آنسة تريفلين.. هناك بعيداً على حافة الصحراء.

لمعت عينا فينيلا قليلاً.. تلال پاينتر.. حيث أمضت ستة عشر عاماً من سنوات عمرها العشرين، ما عدا أيام كانت خلالها في المدرسة الداخلية.. وتلاحقت أفكارها بجنون.. من يدير المزرعة الآن؟ هناك

شيء واحد أكيد: لا يمكن أن يكون المدير سايمون ماكسويل؟ وبتأكيد مماثل لا يوجد شيء في الدنيا يمكن أن يجرّها إلى تلال «پاينتر» إذا كان ذلك الرجل الذي لا يُحتمل يعيش في المزرعة. إنه الشخص الوحيد الذي لا تريد أن تراه مجدداً.. أبداً.. فلقد نالت منه ما يكفي عندما كانت في السادسة عشرة، وقد شُفيت منه ومن أمثاله إلى الأبد.

مرت ثوانٍ من دون أن تقول شيئاً فقد كان عليها أن تفكر بوضوح.. لقد مرّ زمن لم تقرأ عنه في الصحف أي شيء.. ومع أنه لم يظهر على شاشة التلفزيون منذ وقت طويل، إلا أنها من وقت غير بعيد لاحظت اسمه ككاتب سيناريو لدراما شاهدتها في التلفزيون. من الواضح أنه يكتب، ولقد قال لها في الماضي إن هذا ما يريده.. إنه يعيش إذن في «أديلايد» ويتبع خطى والده. إنه أحد أصحاب الأراضي المتغيبين دائماً عن أملاكهم.. وتشك كثيراً في أنه يكلف نفسه زيارة أملاكه ولو مرة في السنة، كما كان يفعل أيام كان والدها مدير المزرعة.

لا.. لا تعتقد أبداً أن هناك أية مخاطرة في أن تلتقي به هناك.

سألت الآنسة ويلز:

ـ ما قولك؟ ألا زلت مهتمة؟

ابتلعت فينيلا ريقها.. وسألت بصوت أجش:

ـ ما اسم الساكنين هناك؟

نظرت الآنسة ويلز إلى الملف أمامها وراحت الأفكار تتوارد في ذهن فينيلا.. فلا يمكن أن يكون أولاد سايمون من هم بحاجة إلى مربية.. لقد مرت أربع سنوات فقط منذ آخر مرة رأته فيها.. حتى لو تزوج تلك الفتاة أم غيرها، فلا يمكن أن يكون قد أنجب أولاداً بلغوا سن الاحتياج إلى مربية.

قالت الآنسة ويلز:

ـ اسم العائلة لايتون. وأعتقد أن الوظيفة قد تكون مؤقتة، إذ يبدو

أن هناك مشاكل عائلية.. على أي حال، ربما تكونين صغيرة على مثل هذا العمل.. فأنت لم تبلغي بعد الواحدة والعشرين، أليس كذلك؟

قالت فينيلا بسرعة:

ـ أرجوك.. لست صغيرة جداً آنسة ويلز.. أنا أحتاج إلى هذا العمل.. وأستطيع توليه، أعرف هذا.. صحيح أنني مارست التعليم سنة واحدة فقط ولست مؤهلة كفاية، لكن لدي خبرة في دروس المراسلة، ومدرسة الطيران.. لقد تربيت في الريف وتلقيت أكثر دروسي هناك إلى أن بلغت الثانية عشرة وأؤكد أنني قادرة على المهمة ولا يهم أن تكون مؤقتة، فيجب أن أجد عملاً.

أنهت كلامها بلهجة يأس، في وقت كانت تستعيد فيه ما حدث بينها وبين زوج أمها ليلة أمس.

لقد قال لها:

ـ قررت توظيف مدبرة منزل.. وستأتي في الأسبوع المقبل. ما أقترحه عليك هو أن تبحثي عن عمل، وأن تستأجري شقة مع أصدقاء لك. وسيكون هذا أفضل من كل الخيارات الأخرى.. فلا شيء سوى الفوضى في هذا البيت منذ وفاة أمك.

عيناء البنيتان اللتان وجدتهما أمها جذابتين جداً، نظرتا إليها ببرود.. وصف «الفوضى» هو وصف مبالغ فيه، لكن بالتأكيد كانت الأمور بعيدة جداً عن الانسياب بسهولة.. في حياة أمها كان بالإمكان تدبير أمور إدنا ودونيس.. لكن بات واضحاً في الأسابيع الستة الماضية أنه من المستحيل السيطرة عليهما. ومرت أوقات أحست فيها أن الوضع أعقد مما تطيق عي.. إنهما مدللان كثيراً، وهذه هي المشكلة.. ومنذ البداية أفسدتهما جدتهما دلالاً.. ثم حين تزوجت أمها من جورج تايلور، بالغت في فسح المجال لهما ليحصلا على ما يريدان.. ربما لأنها كانت خائفة من الظهور وكأنها تفضل أولادها على أولاد زوجها..

رفعت فينيلا نظرها إلى المرأة في وكالة الاستخدام:

ـ ستدعينني أجرب.. ألن تفعلي؟ لو أنني فقط أجريت مقابلة..

رفعت الآنسة ويلز كتفيها:

ـ لن يكون هذا ضرورياً، فأنا أعتقد أن السيدة لايتون لا تزال في سيدني وقد تركت الأمر كله لي.. بصراحة، إنه ليس بالعمل السهل.. فالقليل من الفتيات يرغبن في الذهاب إلى المناطق النائية هذه الأيام. على أي حال، إذا كان صحيحاً ما تقولين أنك تربيت في الريف.. فهذا أمر آخر.. لذا إذا كنت متأكدة تماماً..

قاطعتها بحماسة:

ـ أوه.. أجل.. أجل.. أنا متأكدة.

ابتسمت الآنسة ويلز:

ـ حسن جداً.. سأقول للسيدة لايتون إنني وجدت لها مربية.. يجب أن تكوني في «بروكن هيل» بعد أسبوعين، وستقابلك هناك.. وسأكتب إليك بالتفاصيل.

بعد خمس دقائق كانت فينيلا تخرج من شارع سيدني.. لقد نجحت.. ووجدت عملاً، وفي «باينترزهيل» من بين كل الأماكن ولكنها أحست بوخزات ريبة خفيفة.. ربما ما كان عليها أن تُظهر مثل هذه اللهفة للعودة إلى هناك. إن الجرح الذي تسبب به سايمون لها لم يشف بسهولة.. على أي حال، لن يكون هناك.. الواقع أن مشكلتها الوحيدة الآن هي ماذا ستفعل في الأسبوعين القادمين.

كانت هذه مشكلة تمكنت من حلها بعد وصولها إلى المنزل، ذلك المنزل الحديث في «سانت إيف» حيث تعيش منذ ثلاث سنوات، أي منذ تزوجت أمها من جورج تايلور، سمسار العقارات.. في صندوق البريد كان هناك مغلف طويل من شقيقها الأصغر جيف، وقفز قلبها.. لم تكن قد تمكنت من الاتصال به حين توقف قلب أمهما فجأة بسبب تزيف دماغي مفاجيء منذ ستة أسابيع. كان جيف قد ترك منزل العائلة

قبل أن يتم السابعة عشرة من عمره، قائلاً لأمه إنه سيعود إلى منطقة الأدغال.. وبما أنها عجزت عن ثنيه تركته يذهب. وكتبت فينيلا إلى آخر عنوان أعطاه لهما، لكن دونما رد من جهته. ولم تكن تعرف ما إذا كان يعمل في مزرعة أغنام كما خطط، أم أنه لا يزال في طريقه غرباً على دراجته النارية يقوم بأعمال غريبة هنا وهناك.

دخلت بسرعة إلى المنزل وهي تمزق مغلف الرسالة، وتنظر إلى ساعتها في الوقت ذاته.. بعد نصف ساعة، سيعود دونس وإدنا من المدرسة متذمرين وهما الآن في الرابعة عشرة والثانية عشرة من عمرهما. وهما كالعادة يرميان ملابسهما على الأرض فور وصولهما ويجلسان لمشاهدة التلفزيون رافضين إتمام واجباتهما المدرسية. ولو حاولت فرض النظام عليهما فلن يساعدها زوج أمها، بل سيتذمر بدوره ويقول إنه غير قادر على تحمل «كل هذه المشاحنات» الآن.. وهو يعني موت زوجته منذ وقت قريب.. لم يخطر بباله أبداً أن فينيلا تمر أيضاً بوقت عصيب وهي تحاول التكيف مع خسارتها لأمها.

فتحت رسالة جيف بعدما انفردت بنفسها في غرفتها. كانت الرسالة من منطقة «كوبر بيدي» جنوبي أوستراليا.. وامتلأت عينا فينيلا بالدموع وهي تقرأ كلمات أخيها الحزينة بسبب وفاة أمهما، التي يشوبها كلمات الندم لأنه لم يكن موجوداً، ولأنه لم يكتب إليهما أكثر مما فعل.. مسكين جيف.. لقد كره الانتقال إلى سيدني بعد موت والدهما، لحظة اضطرارهم لمغادرة «باينترزهيل».. وكره الأمر أكثر فيما بعد، حين تزوجت أمهما رجلاً لم يحبه.

قرأت فينيلا: «لقد تغيرت الأمور الآن.. وأنصحك بترك المنزل.. لا تجعلي نفسك عبدة لذلك المتأنق المغرور الأناني وطفليه.. وأعتقد أن أمي تزوجته لأنها احتاجت إلى رجل في حياتها، لكنها الآن رحلت ولست ملزمة به بعد الآن.. أعرف أنك كنت تريدين مساعدتها وهي مريضة لكن زوج أمنا لم يقدّر لك هذا يوماً.. خذي

بنصيحتي واخرجي. يجب أن تعودي إلى الكلية، ولو أنه كان جديراً بالاحترام لدفع لك تكاليف دراستك.. ولربما تفكرين بالزواج وأنا لا أعلم.. أنا بعيد جداً عنك وأنا آسف لعدم تمكني من تقديم أي دعم لك.. لكن لا شك أنك تعرفين الآن من عنوان الرسالة أين أعيش، أعمل الآن في حقول التنقيب عن «الاوبال» وما كنت لأنساك لو توفر لي الحظ الذي أرجوه. اكتبي لي وأخبريني ماذا قررت أن تفعلي.. فأنا لن أنتقل من هنا بسرعة..»

رفعت فينيلا عينيها الزرقاوين القاتمتين وهي غارقة في التفكير تحاول التكيف مع الصورة الجديدة التي انطبعت في ذهنها بعد قراءتها لرسالة أخيها. لقد بدا لها مختلفاً عن ذلك الولد النحيل الأشقر الشعر الذي وضب حقيبة الظهر وترك منزله منذ ستة ونصف.. لكنها لم تكن راضية عن فكرة عمله في حقول «الاوبال» وحمدت الله أن والدتهما لم تعرف.. كانت أمها واثقة من أن ابنها سيجد عملاً في مزرعة أغنام ويثبت جدارته ويتعلم إدارة المزرعة، ولهذا فقط تركته يرحل.

حدقت فينيلا في الفضاء فيما تقطبية قلق تجعد جبهتها.

مع أن أخاها يبلغ الثامنة عشرة من عمره إلا أنه لا يزال صغيراً جداً بنظر فينيلا، ولو أنها أكبر منه بسنتين فقط، ولم تستطع سوى أن تشعر بنوع من المسؤولية نحو أخيها.

حسن جداً.. فأمامها فرصة أسبوعين قبل أن تبدأ العمل في «بايترزهيل».. لذا ستذهب بنفسها إلى «كوبربيدي» لترى ما يجري.. إنها لا ترى لجيف مستقبلاً زاهراً في حقول «الاوبال» إذ أنه لا يعرف شيئاً عن التنقيب والمناجم.. لكنه يعرف شيئاً كثيراً عن الغنم.. إنها طريق بعيدة، تكلف ولا تستطيع حقاً تحمل الكلفة. لكنها تشعر أن عليها واجب السفر إليه.

ما إن سمعت صوت الباب يُغلق، معلناً عودة الولدين حتى كانت قد قررت.. ستغادر فوراً إلى «كوبربيدي» عندما تصبح جاهزة لذلك.

أخبرت جورج بقرارها ذلك المساء عقب العشاء، قالت له إنها وجدت عملاً لكنها لم تقل له شيئاً عن جيف.. فهذا كان سيعطيه الفرصة ليلقي عليها موعظة حول غباء الشباب الذين يؤمنون بالحظ بدلاً من العمل الشاق.. وسيسى أنه استغل كل مال أمها الذي حصلت عليه من زواجها الأول لمصلحته.

مع ذلك نظر إليها من مقعده الوثير وقال:

ـ أنا مسرور لأنك أخذت بنصيحتي «فيني»! لقد تكاسلت وقتاً طويلاً.. أين هو هذا العمل الذي وجدته لنفسك؟

قالت باختصار:

ـ عُرضت علي وظيفة في «بروكن هيل».

رفع زوج أمها حاجبيه والتوى فمه بشكل كريه:

ـ ومتى ستغادرين؟

ـ بعد الغد.

أحست بغضب حارق نحوه ونظرت إليه بثبات.. كم هو وسيم.. وكم هو قاسٍ.. إنه لا يفكر سوى بنفسه، وأمها التي فُتنت به لم ترَ فيه هذا أبداً.. ومما يثير الإشفاق كيف كانت أمها تعتني به، وتتقبل النقد منه دون تذمر.. إن مجرد التفكير بهذا كان يؤلم قلب فينيلا.. فوالدها كان مختلفاً جداً. لم يكن وسيماً لكنه كان لطيفاً ومتفهماً.. ولقد أحبته فينيلا من أعماق قلبها.

حجزت فينيلا بطاقة رحلتها إلى «أديلايد» لليوم التالي، ووضبت حقيبتها تلك الليلة لتكون مستعدة في الصباح. كان إدنا ودونس عدوانيين حين عرفا أنها ستغادر المنزل:

ـ أتتخلين عنا وعن والدتنا؟...

قاطعتهما بحدة:

ـ لا تجزعا.. مدبرة المنزل الجديدة ستصل غداً وأنا واثقة أنكما ستحبانها.

نظرا إليها بارتياب . . فعلى الرغم من كل شيء إن انفصام علاقة ما يبقى أمراً صعباً على جورج أيضاً . . كانت تعي، عدا عملها كمربية، أن الاستقرار غير مضمون على المدى المنظور . . وفكرت بالسؤال الذي أثاره جيف في رسالته : أتريد حقاً العودة إلى الدراسة أم تفكر بالزواج؟ «لا» هو ردها في كلتا الحالتين، و«لا» خصوصاً للزواج . . لقد علمها سايمون ماكسويل أن لا تثق بالرجال بالدرجة الأولى، ثم إن استغلال جورج تايلور لأمها علمها أشياء أخرى منها أن الرجال الوسيمين هم الأقل استحقاقاً للثقة .

ما إن وصلت إلى «أديلايد» حتى حجزت مقعداً في حافلة تغادر في اليوم التالي إلى «أليس سبرنغز» . . وكان هذا أقل كلفة من استخدام الطائرة . . ولأنها تحب الريف والمناطق النائية فستكون الرحلة شيقة .

كانت هذه بلاد المراعي الكبيرة الصخرية الجرداء المنبسطة بحيث تبدو الحافلة وكأنها تتجه إلى السماء مباشرة . . هنا وهناك أجمات من العشب الأخضر والأزرق الزكي الرائحة الذي يزين الأرض الحمراء . . بالإضافة إلى منخفضات الصلصال الأحمر، والشجيرات الصغيرة الملتفة، الغريبة المظهر، والمألوفة في آن بالنسبة لفينيلا . . وأحست فينيلا بجوع غريب إلى مراتع الطفولة وتنهدت في سرها : «آه . . ما أروع رؤية الكانغرو مرة أخرى يقفز في البراري!»

في وقت متأخر من بعد الظهر، وصلوا إلى «كوبر بيدي» وهي بلدة صغيرة موجودة فقط بسبب «الاوبال» وتمتد كأنها مهجورة، صغيرة، شاحبة .

لم تكن فينيلا قد أخطرت شقيقها مسبقاً بقدومها . وعندما أخرج سائق الحافلة حقيبتها مرفقاً ذلك بتحية لطيفة، ذهبت إلى المخزن حيث لافتة تقول : «نبيع كل شيء» لتسأله أين تجد جيف تريفلين .

سألها صاحب المخزن الخشن المظهر، اللطيف اللسان :

ـ شاب صغير بشعر أشقر ولحية؟

لحية؟ بكل تأكيد جيف أصغر من أن يكون له لحية! وقبل أن تنبس بكلمة بدا لها ذلك ممكناً . . فربما تكون له لحية الآن . . ابتسمت مترددة وقالت :

ـ حسناً إنه أشقر الشعر . . وربما أصبحت له لحية . إنه أخي .

ـ هيا! إنه لا يشبهك بشيء . . لكن إذا كان ذلك الشاب هو من تريدين فهو يعيش بعيداً قليلاً عن البلدة، في ملجأ كاري ساوث الشاب .

كشرت فينيلا وجهها وهي تفكر بحقيبتها الثقيلة . . تشك في أن تجد سيارة أجرة في بلدة كهذه .

ـ لو أعطيتني التوجيهات حتى أمضي في طريقي .

نظر إليها الرجل بارتياب :

ـ توجيهات؟ حسناً . . لنرى . . لا . . انتظري، زميله في السكن كان موجوداً هنا منذ قليل وقد جاء ليشتري بعض الأغراض والذخيرة والديناميت . . على الأرجح هو في المقهى الآن .

تقدم إلى الباب ونظر إلى الشارع حيث أشعة الشمس المنعكسة بلون أبيض مبهر للأبصار، وحيث تقف سيارات وشاحنات مغبرة وبحالة مزرية وقال لها :

ـ هناك سيارة «الهولدن» الزرقاء . . اذهبي إليها وانتظري هناك . . وسيأتي سام بلا ريب عاجلاً أم آجلاً .

لم تكن السيارة مقفلة الأبواب، وبعد تردد قصير وضعت حقيبتها في الصندوق، ثم قررت أن تستكشف قليلاً وفي الوقت نفسه ستبقى تراقب السيارة فلربما عاد سام .

راحت تسير في الشارع بتردد، وسرعان ما أحست بعدم الارتياح بسبب نظرات الاهتمام التي كانت تتلقاها من المارة، ومعظمهم رجال متجهمو الوجوه في بنطلونات جينز مغبرة، أو بنطلونات قصيرة، والغبار يعلو الوجوه والملابس . ولا عجب في هذا . . فلا توجد شجرة

هناك ولا حتى ساق عشب في أي مكان.

خانتها شجاعتها ولم تعد تحتمل الغمز واللمز والتحيات المتكررة.

عادت إلى السيارة بسرعة فرأت رجلاً يفتح بابها. نظرت إليه بلهفة وكان يقف هناك قبيل دخوله السيارة. لم يكن طويلاً بل عريض الكتفين، وممتلىء الجسم، بدا لها أكبر سناً من جيف، مع أن معظم وجهه كان مغطىً بلحية سوداء.

ابتسمت فينيلا له بشيء من القلق وقالت بسرعة:

ـ أنا فينيلا تريفلين. شقيقة جيف.. أنت سام، ألست كذلك؟

هز رأسه:

ـ سام ميتال، لكن جيف لم يقل لي إن لديه شقيقة ينتظر وصولها.. أين تقيمين؟ في الفندق؟

أحست باللون الأحمر يتصاعد بسرعة إلى خديها:

ـ أنا لم أحجز مكاناً، وفي الواقع جيف لا يتوقع وصولي.. لقد وضعت حقيبتي في صندوق سيارتك.. سأخرجها إذاً..

قاطعها بابتسامة ودية:

ـ لا، لا بأس.. اصعدي إلى السيارة.. لست بحاجة للذهاب إلى الفندق. فنحن نستطيع استضافتك، مع أنك لا تبدين من النوع المعتاد على خشونة الحياة.

نظر بإعجاب ملحوظ إلى الفستان بلون الكريم.. وأكمل:

ـ كم تنوين البقاء في هذه البلدة المغبّرة القذرة؟

ـ أوه.. ليس طويلاً.. يجب أن أكون في «بروكن هيل» بعد عشرة أيام.

انطلقت السيارة في الشارع تاركة وراءها سحابة كثيفة من الغبار، ولاحظت فينيلا أثناء ذلك مخبزاً ومحل جزارة، ومحلاً لبيع الخضار، ومخزناً عاماً آخر. ثم مطعماً إضافة إلى مصرف ومركزين لبيع الأوبال،

قبل أن يغادرا البلدة.

قال سام:

ـ جيف فتى عظيم. لقد عقدنا شراكة.. ألم يقل لك؟ المرء بحاجة إلى شريك حين يعمل في المناجم.. أتعرفين شيئاً عن احتمالات اكتشاف الأوبال فينيلا؟

ـ لا شيء أبداً.. لكن هل يمكن أن يكسب المرء قوته من هذا؟

هز كتفيه وابتسم:

ـ بالتأكيد.. مع أنني وجيف في هذه الأيام لا نكاد نغطي مصروفنا.. لكنني مؤمن بأن الوقت لن يطول قبل أن نكتشف ما هو مربح حقاً.. ولسوف يسعفنا الحظ في أي وقت الآن.. ها قد وصلنا.. تعالي إلى الداخل، سأحضر حقيبتك.. جيف لم يرجع بعد كما يبدو، لكنه لن يتأخر كثيراً.

تبعته فينيلا نزولاً عبر درج الملجأ.. كانت قد قرأت الكثير عن فخامة أبنية تحت الأرض التي يعيش فيها بعض المنقبين عن الأوبال في «كوبر بيدي». لكن هذا الملجأ كان بعيداً كل البعد عن الترف.. بل الواقع أنه كان متقشفاً بسيطاً بجدرانه الخشنة وبوجود قسطل النهوئة لتغيير هواء المسكن. كان الأثاث مختصراً جداً، السرر والمقاعد محفورة في الجدران، وهناك براد ومطبخ، لكن على الأقل كان المكان مرتباً نظيفاً.

قال سام:

ـ هذا ليس لي.. الشاب الذي يملكه سافر إلى سيدني لبيع بعض الاوبال.. وسيحصل على سعر جيد. كانت أمه هنا تبحث عنه منذ أسبوع، ولست أدري فيما إذا تمكنت من العثور عليه في سيدني أم لا. كادت تجن لسكنه في مثل هذا الملجأ المزري. إن بالإمكان جعله مسكناً لائقاً جداً، ومن الممكن أن أعمل عليه لتحسينه لو كان لي.. أعتقد أنك سترغبين في الخروج للتفرج على المنجم غداً.

ـ أجل.. سأحب أن أفعل هذا.

راقبته وهو يضع إبريقاً من الشاي فوق النار لتسخينه، وتساءلت عن مقدار تأثيره على أخيها. بدا لها رجلاً لطيفاً سهل المعشر. لم يكن وسيماً، لكن حسب تقديرها كان هذا لصالحه، فهي لا تثق بالوسيمين من الرجال.. وتذكرت زوج أمها جورج، لكن وجه سايمون ماكسويل هو الذي برز فجأة أمامها ورأت بوضوح أنه وسيم وصارم. لماذا لا يفارقها وجه رجل عرفته لثلاثة أسابيع فقط ثم لم تره بعدها لأربع سنوات؟ لا بد أن هذا بسبب رؤيتها لصوره دائماً في المجلات والصحف.. مع ذلك كانت تعرف في أعماقها أن هذا ليس هو السبب أبداً.. بل لأنها كانت تحبه بيأس.. إلى أن شتت أحلامها، عندما أفهمها ودون أدنى شك، أنه كان يسلي نفسه بها.. لكن كل هذا كان في الماضي ولقد تجاوزت محنتها تماماً، وانتهى تعلقها المراهق بسايمون ماكسويل.

شربت الشاي الذي حضّره سام، ثم أصرت على مساعدته في تحضير العشاء.. وسرعان ما سمعت صوت الدراجة النارية في الخارج.. وقال سام:

ـ هذا جيف.

رمت فينيلا البطاطس التي كانت تقشرها وأسرعت إلى الباب لتستقبل الولد الذي كان ينزل درج الملجأ.

عندما رأت أخاها لأول مرة بعد غياب طويل، صُدمت. كان مشمخاً، نحيلاً، وكانت اللحية الهزيلة التي تزين وجهه مغبرة. وبداه اللتان أمسكتا يديها كانتا خشنتين.. ووقفا يحدقان ببعضهما وقتاً طويلاً وكأنهما غريبان، ثم بدأت فينيلا تبكي. لقد تذكرت أمها التي ماتت كمداً من أجل الفتى الجميل الذي كان أخوها، واختفى الآن ليحل مكانه هذا الشاب الخشن بعينيه الزرقاوين.. ولا شك أن منظره هذا كان سيحطم قلب أمه لو ظلت حية.

قالت بعد أن سيطرت على دموعها:

ـ وصلتني رسالتك.. جيف، كان يجب أن آتي لأرى ما إذا كنت على ما يرام.

ـ طبعاً أنا على ما يرام فيني.. ولماذا لا أكون كذلك؟ على أي حال، عظيم أن أراك.. اجلسي ودعيني أسمع أخبارك.

جلست على أحد المقاعد المحفورة في الجدار الترابي، كان قاسياً غير مريح ومن دون وسائد، وجلس جيف على الأرض وقال معلقاً:

ـ لقد تركت المنزل، أليس كذلك؟

ـ أجل.. لم أرغب بالبقاء بعد موت أمي.

اغرورقت عيناه بالدموع:

ـ لا ألومك.. وماذا ستفعلين؟ قلت لك حين كتبت إليك أن لا مال كثيراً معي.

أشار إلى الأرض والجدران الخشنة:

ـ أخشى أن لا يكون هذا ما أنت معتادة عليه..

ـ لا.. لكنك حتى أنت لست معتاداً عليه.. لن نقيم هنا طويلاً.. أليس كذلك؟

ـ هذا يتوقف على مدى حظي.. وأنا لا أتوقع منك مشاركتي في العمل على أي حال.

تقدم سام الذي كان يحضر العشاء وجلس على مقعد ترابي آخر.. وأخذ ينظر إلى فينيلا وكأنه لم ير فتاة منذ زمن بعيد.

قالت لأخيها:

ـ أنا لم آت إلى هنا لأبقى جيف.. بل أردت أن أتأكد فقط أنك بخير.. لقد وجدت وظيفة مربية أطفال.. ولن تعرف أبداً أين.

ابتسم حتى بدت أسنانه البيضاء في وجهه القاتم:

ـ أخبريني إذن.

ـ في بايترزهيل.

ـ أكانت هذه مصادفة أم عن عمد؟

ـ مصادفة.

ـ ومن هو مالك المكان هناك الآن؟ سمعت أنه سايمون ماكسويل.. وأنه قد تخلى عن عمله كممثل ليعتني بالأرض. من الأفضل أن تحذريه.. فسوف يتحرش بك. أم أن هذا ما تريدين؟ ألم تهيمي به حين جاء ذلك العام ليتأكد أن أبي يقوم بعمله جيداً في إدارة المزرعة؟

احمر وجهها بقوة.. فجيف لم يعد إلى المنزل في عطلة الربيع تلك.. وبما أنها لم تتفوه له بكلمة عماجرى، فلا شك أنه سمع شيئاً من أمه.. وقالت بسرعة:

ـ لست أدري من أين أتيت بهذه الفكرة.. كنت أكره رؤيته.. إنه أحد الرجال الذين يتمتعون بجمال يجعلهم لا يفكرون سوى بأنفسهم.. مثل جورج.. كما أنه ليس موجوداً في «بابترزهيل» ولو أنه هناك ما كنت لأذهب أبداً. وربما تخلى عن التمثيل، لكنه يكتب برامج للتلفزيون أو شيء كهذا وهو لا يعرف شيئاً عن تربية الأغنام.. من يعيش هناك هم عائلة لايتون.. وبما أنهم لا يريدونني على الفور فكرت أن أجيء لأراك أولاً.. مع أن هذا كلفني أكثر مما توقعت.

ـ حسناً.. أرجو أن يكون معك بعض المال.. فالاوبال الذي وجدناه حتى الآن، لا يشبع فأرة.

قال سام مبتسماً:

ـ جيف.. ليس الأمر بهذا السوء.. لقد تمكنا حتى الآن من إبقاء رأسينا فوق الماء.. وأقسم أننا سنجد شيئاً ثميناً حقاً بعد وقت قصير طالما أننا نلتزم عملنا.

قال جيف:

ـ سألتزم به.. كم تنوين الإقامة هنا بعد أن تأكدت أنني حي أرزق؟

ردت بقلق:

ـ ليس طويلاً، فالسيدة لايتون ستقابلني في «بروكن هيل» يوم الجمعة أي بعد أسبوع.

ـ الجمعة بعد أسبوع؟ وماذا ستفعلين؟ لا أحبذ إقامتك هنا، فالمكان قاس عليك.. من الأفضل أن تقيمي في الفندق حيث تحصلين على فراش لائق وغسيل لثيابك.

عضت فينيلا شفتها، وقالت لأخيها بتصميم:

ـ أفضل البقاء هنا.. إذا كنت وسام لا تمانعان، لا أظن أنني سأحب الإقامة في الفندق لوحدي ليلاً.

بدا على جيف القلق، لكنه قال:

ـ أوه.. ستكونين على ما يرام.. لكن بإمكانك العيش هنا.. هل ترغبين في التفتيش في النفايات؟ بإمكانك هذا لو كان معك ثياب قديمة.

ـ معي بعض الجينز والقمصان.

كانت تعرف أن التفتيش في النفايات يعني التفتيش في التراب المستخرج من المنخيم بحثاً عن قطع الاوبال التي لم يلحظ وجودها المنقب.. وقد يأتيها هذا ببعض المرح ولو إلى حين.

صاح سام:

ـ عظيم! ستكونين تعويذتنا.. وقد تجلبين لنا الحظ.

ابتسمت فينيلا له:

ـ منذ متى وأنت في «كوبر بيدي»؟

ـ أنا؟ منذ ستة أشهر.. نقبت عن الاوبال منذ كنت في الثامنة عشرة.. يسري الأمر في دمي مثل الحمى، أليس كذلك يا شريك؟

قالت فينيلا بسرعة:

ـ أوه.. لكن جيف يريد أن يعمل في الأرض.. سيجد عملاً في مزرعة أغنام.. أليس كذلك جيف؟

نظر إليها بعينين ضيقتين.. وانتبهت مرة أخرى كم بدا لها كبيراً

في السن.. أكبر بكثير من ثمانية عشر عاماً.. وقال:

ـ كنت أفكر بهذا يوماً.. لكنه سيكون عمل رعاة فقط.. فما هي فرصتي لأدير أملاكي الخاصة؟ أراهن أن أمي لم تترك ستاً واحداً فزوجها الوسيم حصل على كل شيء. ألست على حق؟

ردت بصوت منخفض:

ـ أعتقد هذا.

ـ إذن.. بالنسبة للأوبال، الأمر مختلف.. هنا للمرء فرصة لجني المال.

ـ ليست فرصة كبيرة.

قست عينا أخيها:

ـ لا تكوني مثبطة للعزم فينيلا.. أريد أن يكون لي فرصة للعيش هكذا.. وهذا كل شيء، فلا تحاولي أن تقولي لي كيف أدير حياتي.

صمت قليلاً ثم سأل بارتياب:

ـ هل أرسلك زوج أمنا المحبوب لتعرفي ما أفعل؟

صاحت بألم:

ـ بالطبع لا.. أردت رؤيتك.. أنت أخي.. ظننت.. أنك..

واغرورقت عيناها بالدموع، فتقدم سام واضعاً ذراعه حولها.

ـ فينيلا.. يا طفلتي.. أنت متعبة. لقد سافرت طويلاً ومرت عليك حوادث كثيرة في يوم واحد.. وأعتقد أنك تشعرين بالحزن والكدر. إن جمع الشمل العائلي أمر مؤلم أحياناً. دعينا لا نتحدث أكثر الليلة.. الآن سأجلب لك عشاء لذيذاً وفنجان قهوة، وبعدها تنامين.. هناك كيس نوم إضافي، وفراش بإمكانك استخدامها، لذا لا تقولي إننا لم نعتن بك.

كبحت فينيلا دموعها وحاولت أن تبتسم له وقد أثّر فيها اهتمامه.. على أي حال يبقى صحيحاً أن جيف يجب أن يعيش حياته.. لكن ليس هذه الحياة. إنها قاسية جداً، غير مستقرة لشخص تربى كما تربى

جيف. أما سام فهو مختلف..

قالت وهي تكاد تختنق بالدمع:

ـ أعتقد أنه ما كان عليّ أن آتي.

ـ لا تصدقي هذا.. إن مجيئك هو أفضل ما حدث في هذا الملجأ!

* * *

٢ ـ قاتل الأحلام

لم يطل الوقت كثيراً قبل أن تكتشف فينيلا أن جيف مصاب بحمى الاويال.

استفاق مع الفجر في اليوم التالي ليوقظها مع كوب قهوة.. خرجت زحفاً من كيس النوم وقد أدركت بدهشة أنها نامت بعمق على الرغم من كل شيء.. وواجهت نظرته الزرقاء الشاردة بقليل من الارتباك.

ـ هل سترتدين ملابسك لتذهبي معي إلى المنجم؟

دخل سام إلى الغرفة الأخرى من الملجأ حيث نامت وحدها، وقال بعفوية:

ـ الوقت مبكر جداً عليك.. سأعود لاصطحابك فيما بعد فينيلا.

وافقت بامتنان: حسن جداً.

أحست بارتياح لأن المنزل تحت الأرض سيكون لها وحدها. غسلت وجهها في وعاء الماء وهي تعرف أن هذا ترف غالي الثمن في البلدة الصحراوية.. ثم ارتدت ملابسها وتطلعت حولها في الملجأ.. مع أن المكان نظيف نسبياً، إلا أنها أدركت أن لا سام ولا جيف يحسنان تدبير المنزل.. وتساءلت كيف يتحمل جيف هذه الحياة؟

حين عاد سام، كانت ترتدي بنطلون جينز وقميصاً فيما كان شعرها الأسود الطويل مثبتاً على مؤخرة عنقها، ومختفياً تحت قبعتها.. ونظر سام إليها بإعجاب:

ـ لقد ارتديت الثياب الملائمة. أنت فتاة عاقلة.

ابتسمت بقلق:

ـ أنا لم أحضرها معي لأرتديها هنا.. كنت آمل أن أمارس ركوب الخيل في «بابنترزهيل».. هذا كل شيء.

نظر إليها لحظة:

ـ هل يجب أن تذهبي إلى «بابنترزهيل»؟ لماذا لا تبقين معنا؟

اتسعت عيناها:

ـ لا شك أنك تمزح.. هذا ليس المكان الذي يناسبني، فأنا أحب وسائل الراحة.

قال وهو يضحك:

ـ لا أصدق.. لو كنت تحبين الراحة لبقيت في سيدني.

ـ احتجت إلى وظيفة وإقامة في مكان ما.. فزوج أمي لا يريد إطعام فم إضافي.

تقدم نحوها إلى أن وقف قربها، ينظر إلى عينيها، ثم طافت نظرته على جسمها. وقبل أن تعرف ماذا يحدث كان قد ضمها إليه بشكل أدهشها. فتلوت تتخلص منه، فتركها فوراً.

قال بصوت أجش:

ـ آسف.. لكنك طفلة جميلة ولم أستطع ضبط نفسي..

طمأنتها كلماته الواقعية فقالت:

ـ حسن جداً.. فأنا لن أبقى هنا طويلاً وأريد رؤية بعض ما يفعله جيف.. هيا لنذهب.

وتحركت بعيداً عنه باتجاه الباب، فقال وهو يلحق بها:

ـ أنت لست موافقة على عمله.. صحيح؟

ـ لا.. لست موافقة.. يجب أن يعمل في الأرض.. هذه مجرد مغامرة ولا مستقبل لها.

ضحك:

ـ مغامرة؟ لا أدعوها هكذا. هناك كثير من الإثارة فيها.. ولا نخطئي.. الاويال موجود.. وبكثرة.. ولسوف نصيبك حمّاه قبل أن ينتهي النهار.

لم تلتقط فينيلا الحمّى وهي تبحث في كومة التراب الضخمة التي أخرجت من المنجم، وكانت الشمس تلسعها بحرارتها دون هوادة.. وفكرت بجيف دونما ارتياح.. هل يؤمن حقاً أنه يوماً سيصيب ثروة من هذا؟

كانت مرهقة مع انقضاء النهار، ولم تحس يوماً بمثل هذه القذارة في حياتها. كانت ثيابها مغبرة وكذلك شعرها، حذاؤها، وكل جزء منها. وقد تعبت من النور الساطع ومن الأرض الجرداء.. صحيح أنها فتاة ريفية، لكنها لا تنتمي إلى هذا النوع من الريف.. وتاقت لمنظر الأشجار ولظلها الأخضر البارد.

عادت إلى الملجأ فاغتسلت وخرجت تحس نفسها أنظف قليلاً، لكن ليس كثيراً..

ومرت الأيام كل يوم منها يشبه الآخر. ووجدت فينيلا بعض شظايا الاويال والكثير من الحجارة السوداء، القليل منها كان فيه بعض اللمعان.. أما جيف وسام فعلى الرغم من آمالهما الكبيرة ومعنوياتهما المرتفعة، لم يحققا «الضربة الكبرى» مع كدحهما طوال النهار.

وفي اليوم الرابع بقيت في المنزل الذي كان بارداً وهادئاً. ورغم تمتعها بالراحة إلا أنها لم تستطع سوى أن تقلق على مستقبل جيف، حتى أنها تمنت لو أنه هو الذاهب إلى باينترهيل بدلاً منها! ولما كانت تمعن التفكير، تذكرت شيئاً حدث قبل أشهر قليلة من موت والدها، واضطرارهم إلى مغادرة المزرعة.

كانت وجيف يركبان الخيل برفقة والدهما بعيداً جداً عن المنزل. وبوصولهم إلى تل مسطح الرأس، ترجلوا عن الجياد ليجلسوا في الظل.. وفيما كانوا يرتاحون التقط والدها قطعة صخر مسطحة

ولامعة.. أمسكها بيده لحظة ثم نظر إليها عن قرب يقلبها بيده. ثم سأل جيف وهو يمرّر الحصاة السوداء إليه:

ـ ماذا تظن هذه؟

نظر إليها جيف:

ـ لست أدري.. لماذا؟ ماذا تظنها يا أبي؟

ـ فينيلا ما رأيك أنت؟

كان الحجر الأسود قد وصل إلى يدها، فنظرت إليه:

ـ لست أدري ما هو يا أبي.. أنا لا أدرس الجيولوجيا في المدرسة. هل هو شيء مميز؟

استعاد والدها الحجر وراح يرميه في الهواء ثم يتلقفه ثانية، وأخيراً وضعه في جيبه وقال:

ـ ربما.. أنظرا حولكما فلربما وجدتما مثل هذا الحجر.

وقفت هي وجيف وفتشا حولهما، وفي بضع دقائق وجد كلاهما قطعة مماثلة تفحصها والدهما بدقة.

ـ حسناً.. قد تكون مجرد حصى.. أويال لا قيمة له.. كنت آمل أن يكون اللون واضحاً أكثر.. أعتقد أن هذا الجزء من باينترهيل يحوي أويال.. في العطلة القادمة حين تعودان إلى المنزل، سنؤلف فريق عمل وننقش.. ما رأيكما؟

لكن فريق العمل لم يتحقق أبداً.. ففي العطلة المرتقبة عاد سايمون ماكسويل إلى مزرعته، ورحل جيف مع زميل دراسة بدل العودة إلى المنزل، وبعد ذلك انتهى كل شيء.. ومات جون تريفلين فجأة وانتقلت العائلة لتسكن في سيدني.. ولسبب أو آخر، لم تفكر فينيلا بما حدث ذلك اليوم، لكنها تساءلت الآن عما إذا كان والدها قد عثر على شيء.

صممت أن تثير المسألة ذلك المساء حين يعود جيف وسام. فلو استطاعت إثارة اهتمام جيف فبالإمكان أن يأتي معها إلى باينترهيل.

لكن، ورغم أن جيف قد تذكر ما حدث، إلا أنه رفض مناقشة الأمر وهز كتفيه دونما اكتراث. وسأل سام باهتمام:

ـ وهل وجدتم المزيد؟

هزت رأسها:

ـ لم نفتش أبداً. لقد تركنا بانترزهيل بعد ذلك بوقت قصير.. كان والدنا هو المدير هناك.. لكنه مات.

قال سام:

ـ حسناً.. بما أنك ستعودين إلى هناك الآن.. فهل تعرفين ما فيه الكفاية عن الاوبال لتفتشي؟

تدخل جيف بنفاد صبر:

ـ هي بالطبع لا تعرف.. فينيلا ليست في الواقع مهتمة بالاوبال.. إضافة إلى هذا سيكون الأمر كمن يبحث عن إبرة في كومة قش. بانترزهيل أرض واسعة.

ـ أذكر جيداً أين كنا ذلك اليوم.. في الواقع أستطيع مرافقتك فوراً إلى هناك، لو كنا في بانترزهيل.. فلماذا لا تأتي معي إلى بانترزهيل؟ بإمكانك الحصول على عمل هناك، أنا واثقة من ذلك. وستتمكن من التفتيش عن الاوبال في وقت فراغك.

هز جيف رأسه، عيناه الزرقاوان محتارتان:

ـ توقفي عن محاولة إغرائي للذهاب معك يا فينيلا.. ألا يمكن أن تنسي ما قلته لك ونحن صغار؟ ألا يمكن أن تتركيني أدير حياتي كما أريد؟ أنا لا أحاول التدخل في حياتك.. أنا لا أطلب منك أن تعودي إلى الكلية بدل تولي تلك الوظيفة في الأدغال التي لن توصلك إلى أي مكان.. كان والدي يداعبنا ذلك اليوم، وتعرفين هذا.. أليس كذلك؟

احمرت وجنتا فينيلا:

ـ لا.. لا أعرف هذا.. وأرجو منك أن تجرّب على الأقل.

ـ لست مستعداً لمثل هذه التجربة.. حسناً من سيأتي إلى المقهى؟

واستسلمت فينيلا.. فلن يصغي أخوها أبداً للمنطق.

قبل يومين من موعد مغادرة فينيلا «كوبربيدي» كانت بصحبة سام في طريق العودة إلى الملجأ، وقد تركا جيف منهمكاً في عمله. كانت الشمس تميل إلى المغيب، والصحراء الجرداء، كأنها شيخ بلون قرمزي شديد الاحمرار مختلط بالذهبي.. ووقفت فينيلا تراقب المنظر على الطريق الترابية قبل أن تلحق بسام إلى الأسفل.

قال:

ـ أتعرفين بماذا كنت أفكر؟ سأوصلك بنفسي إلى بروكن هيل. ما رأيك بهذا؟

في الواقع كانت مهمومة بهذا الأمر، فمن يوصلها إلى تلك المنطقة البعيدة؟ وصاحت:

ـ أوه.. سيكون هذا عظيماً! لكن الطريق طويل إلى هناك ثم العودة إلى هنا.. أليس كذلك؟ ويحتاج الأمر إلى وقت ووقود..

هز كتفيه:

ـ قد لا أعود قبل فترة.. فنحن لسنا ناجحين هنا. كلمت أحدهم في المقهى الليلة وهو يعتقد أن في «وايت كليفز» الكثير من الثروات.. أنا لم أذهب من قبل إلى هناك، وربما تجرب حظنا أنا وجيف هناك.. لا شك في وجود أطنان من الاوبال لم تكتشف بعد في الصحراء.. قد لا تصدقين هذا، لكنني جنيت مالاً وفيراً من الاوبال، وأنا لست مجرد هاو يا فينيلا. ولست مضطراً لأن أعيش طوال عمري في ملجأ تحت الأرض.. أريد رؤيتك تكراراً.

نظرت إليه، وقد شعرت بالانفعال يتصاعد في جسمها تحت الغبار الناعم الذي غطاها ذلك النهار.

ـ إذن.. لماذا لا تأتي أنت وجيف إلى بانترزهيل؟

أحست بيديه الخشنتين على كتفيها. تراجعت إلى الوراء قليلاً لتدفعه عنها، ثم رفعت شعرها الأسود الذي انسدل بعد أن خلعت

قبعتها . إنها بحاجة ماسة إلى الاغتسال حين تصل إلى بروكن هيل، وقبل أن تلتقي السيدة لايتون..

ـ أنت تعرف عما تبحث سام.. وأنا أعتقد حقاً بوجود الاوبال هناك.

ـ سآتي حتماً لألقي نظرة.. ويجب أن تدليني على المكان الذي وجد فيه والدك قطع الاوبال تلك.. على أي حال سيمنحني هذا عذراً لأراك مجدداً.

صمت قليلاً ثم تابع وعيناه تبتسمان:

ـ أكره أن تلتقي بعامل مزرعة وسيم فتقعي في حبه.

دونما إرادة منها، فكرت فينيلا بسايمون ماكسويل فارتجفت:

ـ لا أظن هذا محتملاً..

ـ لا؟ أحب أن أصدق هذا.. ويبهج قلبي أن أسمعك تقولين هذا.. لكن هل تعنين ما تقولين حقاً؟

ـ في الواقع أعنيه.

ـ أيمكن أن يكون السبب أنك تهتمين بي؟

رفرفت فينيلا عينيها مجفلة تماماً.. إنه يعجبها لكنها لم تفكر به بالطريقة التي يعنيها. قالت بحذر مراوغ:

ـ لا أعرفك سوى من أسبوع وبضعة أيام يا سام.

شد أصابعه على كتفيها، وجذبها بقسوة إليه:

ـ وماذا في هذا يا جميلتي؟

واستطاعت سماع دقات قلبها.. لم تكن خائفة، فهي كانت تعتقد أنها تعرف سام بما يكفي كي لا تخاف منه.. لكنها تلوّت غريزياً بين ذراعيه، وشدّد قبضته عليها. فبدأت تقاومه، وكانت تقاوم بشراسة حين سعل أحدهم.

أرخى سام قبضته ورفع رأسه. وتحررت فينيلا، التي كان ظهرها نحو المدخل فجأة.. وفكرت بخرج عميق: جيف!

انبعث صوت رجل:

ـ آسف للمقاطعة.. لكنني أبحث عن كاري ساوث.

وجمدت فينيلا في مكانها... إنه ليس جيف.. لكن ذلك الصوت! يشبه صوت سايمون ماكسويل.

مع ابتعاد سام عنها استدارت بحذر.. وما إن رأته حتى أحست بالصدمة. فالرجل الواقف وظهره إلى النور المتلاشي كان سايمون ماكسويل.. للحظة أحست وكأنها تحولت إلى حجر.. أو ثلج.. ثم بدأ قلبها يخفق ثانية.. وهي لا تكاد تعي ماذا تفعل، استدارت هاربة.

في الغرفة الصغيرة حيث كانت تنام، وقفت ترتجف وكيانها كله في غليان عظيم... لقد استطاعت سماع صوت سايمون، واثقاً، صافياً.. وشتت كيانها أكثر أن تكتشف كم تذكره جيداً، وكم تذكر مدى تأثيره المدمر عليها.. قال سام شيئاً، لكنها لم تكن تعي ماذا يقولان ولا هي حاولت الإصغاء. كل ما تعيه أن سايمون ماكسويل هنا في هذا الملجأ في كوبربيدي، وأن شيئاً مأساوياً يحدث لها بمجرد رؤيته وسماع صوته.

وضعت فينيلا يدين مرتجفتين على خدين يحترقان. لأربعة سنوات خلت كانت تقنع نفسها بأنها تكره سايمون ماكسويل.. لكنها الآن أحست وكأنها لا تزال فتاة المدرسة المراهقة السخيفة التي كانت وهي في السادسة عشرة من عمرها. ما تريده الآن، وتواً، هو أن تعود إلى الغرفة الثانية وتنظر إليه.. أرادت أن ترى شعره الذي لوّحته الشمس، الطويل الكثيف.. والبشرة البنية الذهبية.. أرادت أن تحدق مرة أخرى في عينيه الخضراوين القاتمتين المربكتين، المشتعلتين بشظايا من ذهب. وأرادته أن ينظر إليها، حاجباه مستقيمان إلى الأسفل، وخط شفتيه ناعم فوق ذقنه المنحنية إلى الأعلى قليلاً، وكأنه على وشك إطلاق ابتسامته الساحرة..

حسناً.. لما لا؟ لماذا لا تخرج وتقول له: «مرحباً سايمون..

هذه أنا . . فينيلا تريفلين . . ». هي متأكدة أنه لا يعرف بوجودها ومن المستحيل أن يكون تعرف إليها في اللحظة الوجيزة التي واجهته فيها.

خطت خطوتين على الأرض الترابية، ثم توقفت . . كيف تخرج لتكلمه وهي تبدو هكذا؟ خصوصاً وبعد أن شاهدها تقاوم سام بطريقة غير مشرّفة؟

تسارعت دموع الإحباط في عينيها . . آه لو أنها تبدو الآن جميلة، أنيقة، متحفظة . . لو أن هذا اللقاء حدث في مكان آخر . . بدلاً من هذا الملجأ الرهيب!

فركت عينيها بقسوة لمنع الدموع التي ملأت محاجرها من الانهمار . . أوه . . كم تكره سايمون ماكسويل، الوسيم الكريه! إنها ممتنة لأنه لم يتعرف إليها.

ـ ما الأمر فينيلا؟

كان هذا سام . . ورفعت رموشاً مليئة بالدموع تنظر إليه . . وقالت بصوت يرتجف قليلاً:

ـ لا شيء . . هل ذهب الرجل؟

ـ بالتأكيد . . لكن لا تسأليني إلى أين، فلست أدري ذلك ولا أهتم به. أنا آسف لاقتحامه المكان علينا هكذا . . لكن اسمعي، لا شيء يوجب البكاء . . أهذا ما يزعجك؟

ـ لست منزعجة . . لكن يجب على الناس أن لا يدخلوا البيوت هكذا . . ماذا كان يريد على أي حال؟

هز سام كتفيه:

ـ كان يبحث عن كاري . . الرجل الذي يملك هذا الملجأ . . إنه في الواقع يبحث عن أمه، كانت تعمل لديه وسمع أنها هنا . . وهذا ليس من شأني، ولم أعطه عنواناً على أي حال . فما يدريني أنا، قد لا ترغب السيدة ساوث بأن يلحق بها.

سألته من دون أن تتمكن من إبعاد سايمون ماكسويل عن ذهنها:

من أين هو؟

بدا سام محتاراً:

ـ من؟ كاري؟ إنه إنكليزي في الواقع.

ـ ليس هو . . ذلك الرجل . .

ـ أوه . . لا فكرة لدي . لكن من يهتم؟

تقدم منها ووضع ذراعيه حولها فلم تمنعه . . كان فكرها مشغولاً بأشياء أخرى ولم تكن تعي ماذا يفعل، لكن وهو يحني رأسه، أشاحت بوجهها جانباً.

هزها سام قليلاً:

ـ هيا الآن . . انسي الأمر فينيلا، فالرجل لا يعني شيئاً لنا . . ولن يعود إلى هنا . . إذا كان هذا ما يزال يزعجك.

عضت شفتها وحاولت الابتسام، لكن حين جذبها إليه ثانية احتجت بغضب:

ـ لا تفعل هذا سام!

تمتم غاضباً وتركها.

لم تستطع فينيلا أن تنام تلك الليلة . . لم تستطع التفكير بشيء سوى بسايمون ماكسويل. كان التفكير فيه يتسبب لها بالأرق فلا تنام الليالي الطوال، لكن هذا كان في الماضي وكانت تتصور أنها تجاوزت هذه المرحلة . . لكنها كانت مخطئة.

وتساءلت بقلق: لماذا تقاطعت دروبهما مجدداً والتقيا في «كوبربيدي» من بين كل الأماكن؟ قد كانت في الواقع أكثر سعادة بكثير لو أنها لم تره ثانية. بالتأكيد لو أنه تعرّف عليها لقال شيئاً، إن لم يكن لها فلسام . . لكنه لم يتعرف إليها. لا . . لم يتعرف على المراهقة ابنة السبعة عشرة عاماً التي عبث معها منذ أربع سنوات . . كان شعرها يومها قصيراً، وملابسها نظيفة لا شائبة فيها، وكل هذا كان لأجله بالطبع. كان نجم التلفزيون، وكانت تحبه بجنون.

ومالت إلى جانبها، متململة إلى حد الأرق. . ورغم إرادتها عادت بها الذاكرة إلى ذلك اليوم الوحيد الذي جاء فيه إلى بايترزهيل.

إنها تذكر ذلك الربيع جيداً. . بل أكثر من ذلك. . كان الربيع الأكثر إشراقاً في حياتها. . لقد بدأ كل شيء في الشتاء الذي أتمت فيه السابعة عشرة لما عادت إلى بايترزهيل في إجازة.

قالت لوسي تريفلين في تعليقها على مقالة كانت تقرأها في مجلة: هل يخفق قلبه ويعود ليعمل مربي أغنام؟

هز الأب رأسه:

ـ ذلك الشاب لن يكون مربي أغنام أبداً. . قد يلعب ذلك الدور حين يسليه هذا فقط. . لكنه سرعان ما يعود إلى عالم التلفزيون، وبريق الشهرة. . لا يمكن لأحد أن يقنعني أن رجلاً ناجحاً، ومعروفاً في أي مكان يذهب إليه، سيتخلى عن كل شيء لينعزل في البراري البعيدة هنا. لو أنه مهتم فعلاً بالأرض، لكان عليه أن يأتي إلى بايترزهيل من حين إلى آخر مع والده.

استمعت فينيلا إلى الحديث فاغرة فمها. . كانت قد رأت سايمون ماكسويل في التلفزيون، ورأت فيه مثلها مثل كل البنات في المدرسة الداخلية، رجلاً خرافياً. . فهو ليس شاباً ووسيماً جداً فقط، لكنه كاتب المسلسل الدرامي الذي هزّ المشاعر لدى جماهير ضخمة في جميع أقطار العالم. . حتى تلك اللحظة لم تكن تعلم أنه ابن صاحب الأرض. . فالسيد ماكسويل كان يزور المزرعة موسمياً، مرة في السنة وخلال فصل الربيع، حيث يبقى أسبوعاً. . ولقد سمعت فينيلا أمها تعلق مرة:

ـ لست أدري لماذا يزعج نفسه بالحضور. . إنه لا يعرف شيئاً عن مبادىء إدارة مزرعة أغنام كبيرة. . وأظنه يعتقد بأنه يخدعنا في ادعائه أنه يتفقد ما نفعل.

واعترض زوجها بلطف:

ـ إنه رجل أعمال ناجح لوسي. . ومهما كان ظنك فيه، فإنني أؤكد لك أنه يعرف ماذا يجري هنا. . لكن بسبب مرض زوجته ترك السكن هنا بعد أن ورث المزرعة.

لم تقتنع لوسي:

ـ كنت أتمنى لو ورثتها أنت بدلاً منه. . المنطق يؤيد هذا، فجيف يحب العيش هنا. . بينما ابن سيدرك ماكسويل لن تشاهده هنا أبداً. . تأكد من هذا.

لكنها كانت مخطئة. فتلك السنة بالذات كان ماكسويل وليس أباه هو من جاء إلى بايترزهيل. . وعلى عكس والده اتصل هاتفياً ليرتب أمر وصوله، بل أنه أراد الإقامة لثلاثة أسابيع. . وتذكرت فينيلا حماسها العظيم لهذا النبأ الذي وصل إليها في المدرسة من خلال رسالة أمها! ولم تستطع أن تصدق ذلك.

وبعد الابتهاج انتابها الذعر، فإية ملابس تملك؟ وعماذا ستكلمه من دون أن يعتبرها تلميذة مضجرة؟ هل سيتأثر أكثر لو تكلمت عن الشعراء واستعارت منهم الجمل الشعرية، أو. . أو تكلمت عن الرسم؟ هل سيلاحظ وجودها أصلاً؟ مرت بها لحظات أحست فيها بالعجز المطلق حتى أنها كادت تخشى موعد الإجازة.

حين وصلت المنزل، اكتشفت أن أمها لم تكن مبتهجة لمقدم سايمون ماكسويل، ولم تكن لديها أي فكرة عن مشاعر ابنتها التي أمرضتها لفترة. . في نظر لوسي تريفلين، كان سايمون متطفلاً، ولا ترى سبباً يدعوها لاستقبال شخص معتاد على حياة أكثر ترفاً وتأنقاً.

وقال والدها بخشونة:

ـ حسناً. . بما أنه سيرث المزرعة يوماً فإن له الحق الكامل في أن يرى ماذا ينتظره. . على أي حال سيأتي، وسيكون ضيفنا، ويجب أن تتصرفي بأفضل ما يمكن.

أصغت فينيلا إلى والدها دون أن تتكلم. يكفيها أن شخصاً بمثل

هذه الشهرة سيزورهم. وبالنسبة لها، لم يكن إنساناً عادياً ليتكلم المرء عنه مثلما يتكلم والداها. وكان لديها إحساس غريب أن الأسابيع الثلاثة أو الأربعة القادمة، ليست جزءاً من حياتها.. بل أنها وقت منفصل ستبقى دائماً تذكره.

دونما توقع، حدث تآلف مذهل بينها وبين سايمون ماكسويل منذ البداية.. وبما أن والدها كان متوعكاً، وجيف يقضي عطلته على الساحل مع زميل دراسة فقد كانت دائماً وحدها مع الزائر.. في السابعة عشرة، كانت طويلة، ناضجة جسدياً بالنسبة لسنها.. وكم كانت سعادتها كبيرة عندما لم يعاملها على أنها تلميذة مدرسة صغيرة. كان يتصرف معها وكأنها مساوية له وناضجة، ولو كان أكبر منها بما يتراوح بين الاثني عشر عاماً والأربعة عشر عاماً.. وخلال وقت قصير جداً تآلفا، وهما يلعبان التنس، أو يسبحان في البحيرة، أو يركبان الخيل، أو حتى، كطفلين، يكتشفان أنواع اللوحات التي تتكون في السحب المارة في السماء في الأمسيات. ولم يكن يبالغ في إظهار حنكته وعلو ثقافته بل الواقع وهو ما أدركته متأخرة، أنه كان يتسلى ويمثل دور الرجل البسيط.

كانت فينيلا تعيش في حالة إثارة لأنها موضع ثقته. ولما يقرب من ثلاثة أسابيع، كانت أكثر سعادة مما كانت عليه في حياتها كلها، واعترفت لنفسها سراً أنها تحبه.. كانت متأكدة أنه منجذب إليها بعمق.. وفيما هي مستلقية في فراشها ليلاً كانت تستعيد وقائع النهار، كل نظرة إليها، كل إطراء لها، كل كلمة قالها، حين كانت تغفو كانت تحلم به. وكان كل هذا من نسج خيالها الواسع، إلى أن سبحا مرة في البحيرة، وأصيبت بتشنج في ساقها.

سمعت فينيلا نفسها تطلق آهة صغيرة.. لماذا تفكر بكل هذا؟ لماذا تعرض نفسها لمشاعر المرارة؟ مع ذلك فقد وجدت أنها عاجزة عن كبح الذكريات المتدفقة.

كان سايمون قد ساعدها على الخروج من الماء، وفرش لها منشفته ومشّد لها ربلتها المتألمة، فلاشى التشنج. بعد ذلك لم تعد فينيلا تعرف بالضبط كيف حدث ما حدث.. كانا يحدقان في عيني بعضهما، قلبها يخفق بشدة، وأحست لأول مرة في حياتها بنشوة كانت شديدة إلى درجة الألم. كانت عيناه خضراوين، مشتعلتين كالجمر، يتطاير الشرر منهما.

ذلك الاستكشاف الطويل الحميم لعيون بعضهما، حرك مشاعرها بعمق. فهي لم تكن قد نظرت من قبل بهذه الطريقة إلى عيني رجل، ولا نظر رجل إلى عينيها كما يفعل سايمون. أرادت أن تقول: أحبك! لكن الكلمات ارتجفت على شفتيها ومانت. فقد تراجع سايمون فجأة ووقف.

ـ هل أنت بخير الآن؟

صوته بارد لكن عينيه كانتا دافئتين.. أمسكت اليد التي مدها إليها، وتركته يجذبها لتقف.

قالت وهي تتنفس بعمق: بخير تماماً.

نظر إليها سايمون طويلاً دون ابتسام. كان شعره الأشقر الذي لفحته الشمس لا يزال رطباً.. ولم تستطع أن تنتزع عينيها من عينيه.. أعادت تستوعب كل ذرة من وجهه، تعي قربه منها، تحس بكل حركة لصدره وهو يتنفس..

ثم فجأة أبعدها عنه.. فسألت بصوت أجش:

ـ ألا.. تريد أن تعانقني؟

رد وهو ينحني ليستعيد منشفته: بلى.

تمتمت بارتباك:

ـ إذن.. لماذا.. لم تفعل؟

سألها بدلاً من أن يرد:

ـ فينيلا.. كم عمرك؟

ـ سبعة عشر.. لكن.. أشعر أنني أكبر بكثير.

ـ أعرف ذلك.

وأدار لها ظهره، يرتدي بنطلوناً قصيراً فوق ثوب السباحة.. انتظرته فينيلا ليتابع كلامه لكنه لم يفعل.. وخاضت صراعاً داخلياً قبل أن تقول بصوت أجش منخفض:

ـ سايمون.. أحبك.

في تلك اللحظة بالذات ظهرت أمها في الممر الموصل إلى البحيرة، فاحمر وجهها ثم أصبح شاحباً كالأموات.. وتطلعت أمها المبتسمة إلى سايمون، فأمسكت فينيلا منشفتها تلفها حول كتفيها.

ـ مرحباً أمي! سنعود للتو إلى المنزل.. يا إلهي كم أنا عطشى!

عادت تمثل دور تلميذة المدرسة الصغيرة في نصف دقيقة، لكن هذا لأجل أمها فقط.. ومع دخول الجميع إلى المنزل أحست وكأنه يريد ترتيب أمر اختلائهما.

لكنه لم يفعل شيئاً.. بعد العشاء، جلست مع والديها وسايمون في غرفة الجلوس دون أن تسمع كلمة من الحديث الدائر. بل كانت تسند رأسها إلى الوراء وعيناها نصف مغمضتين. انتظرت أن يفعل شيئاً، أن يقترح الخروج معها إلى الحديقة.. أي شيء. أخيراً توترت، ولم تعد تستطيع تحمل دقيقة أخرى.. تمتمت بتحية الليل، دون أن تنظر إليه وتركت الغرفة.. لم تحس يوماً بهذا السوء في حياتها.. ولا شيء تستطيع أن تفعله.

لم يمض وقت طويل حتى سمعت التمنيات بليلة سعيدة يتبادلها الجميع، ويذهب كل إلى غرفته. فجلست في سريرها تقضم أظافرها وتراودها فكرة أن تدق باب غرفته.. لكن خوفها من والدها منعها. أخيراً اندست في الفراش لكنها لم تنم.

كانت الساعة تقارب الثانية صباحاً حين تسللت من سريرها لتخرج إلى الشرفة.. كانت ليلة دافئة يثيرها القمر، رائحة زهر الليمون تطوف

الليلة في الجو.. أحست بالتململ وكأن شيئاً يجب أن يحدث.. لم تستطع التفكير سوى بسايمون.. ألم يشعر باللذي شعرت به؟

فيما بعد، لم تدرك جيداً ما الذي دفعها للخروج إلى الحديقة حافية القدمين ولي ثياب النوم. أكانت حاسة سادسة أم أنها سمعت أصواتاً غامضة؟ على أي حال، خرجت تتجول بين أشجار البرتقال فوجدته يذرع المكان جيئة وذهاباً ببنطلون أسود وصدر عار. وبصيحة مختنقة، اتجهت نحوه لتلقي بنفسها بين ذراعيه.. لا تزال تتذكر إحساسها به، وبصوت تنفسها السريع، ورائحة زهر البرتقال.

لكنه لم يستجب كما توقعت، بل أمسك بمعصميها وأبعدها عنه.. وكان صوته ناقد الصبر وهو يسأل:

ـ ماذا تفعلين هنا فينيلا؟ ابتعدي من هنا ودعيني وحدي.

دفع يدها بعنف حتى كادت تقع ثم أدار ظهره لها.

لم تبك يوماً في حياتها كما بكت تلك الليلة.. وكان منظرها رهيباً في الصباح.. جفناها متورمان، ووجهها شاحب، حتى أنها أدارت وجهها عن المرآة.. وتخوفت من رؤية سايمون لها هكذا وسؤاله عما بها.. لكن لا داعي للقلق، فقد بدا أنه لا يهتم أبداً بفينيلا تريفلين.

حين غادرت غرفتها، كان وقت الفطور قد ولى، وكانت أمها في المطبخ تخبز، بينما حضرت فتاة من الجوار للزيارة واستحوذت على سايمون ماكسويل.. أو بالأحرى استحوذ عليها هو. كان اسمها سارة ادواردز وأكبر من فينيلا بسنوات، جميلة جداً، معتدة بنفسها. كانت هي وسايمون يتحدثان على الشرفة، ولم تسمع فينيلا منها سوى بضع كلمات ترحيب زائفة قبل أن يعودا إلى الموضوع الذي كانا مستغرقين فيه.. فيما بعد خرجا معاً في نزهة على الجياد دون أن يسألاها عما إذا كانت ترغب في مرافقتهما، وأمضت فينيلا ما تبقى من يومها في غرفتها وهي مصابة بصداع.. وبقيت سارة للعشاء، وأقامت ليلتها هناك.. في طريقها البائس نحو الفراش، رأتهما في الحديقة متعانقين، وذراعيها

حول عنقه.. كانت خيبة أملها قاسية حتى درجة العذاب وإحساسها بالجرح والإذلال عميق إلى درجة تمنت معها الموت.

حين رحلت سارة في الصباح التالي، رحل سايمون معها بابتسامة عفوية ملوحاً بيده لفينيلا، التي أرادت أن تركض إلى غرفتها، لكنها منعت نفسها من هذا لأنها تعرف أن أمها ستصر على معرفة ما يجري.

قالت لوسي وقت العشاء تلك الليلة:

ـ لقد بدأت أشك أن سايمون مل منا.. حسناً.. لست آسفة لرؤيته يذهب.. كان وجوده معنا عبئاً على أعصابنا.. جون أنت مريض وفينيلا مضطرة لقضاء وقت طويل معه في وقت هناك الكثير من الأشياء التي يمكنها أن تفعلها.

ابتسمت فينيلا متوترة، لا تريد أن يعرف أحد فظاعة ما تشعر به.. كم هي مصدومة ومجروحة.

لقد انفجر قوس قزحها، ولم يبق لديها شيء.. عدا الإذلال.. وكراهية متصاعدة للرجل الوسيم المدمّر الذي حطم قلبها بكل قسوة.

عاد إلى بابنترزهيل بعد بضعة أيام ليقول وداعاً، وشكر العائلة حسن ضيافتها.. وتعاملت فينيلا معه ببرودة ظاهرة، في حين أنها كانت تتعذب من الداخل. وبأقصى سرعة ممكنة، خرجت إلى الشرفة حيث كانت تخيط قسناناً من «الأورغانزا» الأصفر وهي ترتجف لا تكاد ترى ما تفعل. كانت تأمل حين خرج سايمون إلى الشرفة متوجهاً نحوها، أن يظنها مشغولة بالتحضير لحفلات رقص قادمة.

اقترب منها وكأنه يريد أن يرى ماذا تفعل، وسأل:

ـ يبدو أنك مشغولة جداً ولا تستطيعين التحدث معي، فينيلا؟

أبقت رأسها منخفضاً، ولم تنظر إليه، وقالت بصوت غير مسموع إلا قليلاً:

ـ مشغولة جداً.. يجب أن أنهي هذا.. سأعود إلى المدرسة.. إلى سيدني بعد بضعة أيام.

للحظات بقي صامتاً.. ثم قال:

ـ حسناً.. وداعاً فينيلا.. سُررتُ بالتعرف إليك.. ربما نلتقي مرة أخرى في يوم مشمس.

ولم ترد.

الآن، وبعد أربع سنوات، كاد يحصل اللقاء..

كاد يحصل.. آ لكنه لم يحصل!

ودون أن تعرف السبب، بكت إلى أن نامت.

* * *

Rewity.com

٣ ـ في فم الأسد

لم تر سايمون ماكسويل بعد ذلك في «كوبربيدي» وبعد يومين غادرت إلى بروكن هيل. . ومع تناوب سام وجيف على قيادة السيارة تمت الرحلة الطويلة المتعبة في يوم واحد.

بالنسبة لفينيلا، كان أقصى ما ترغب فيه هو حمّام ساخن في الفندق وأن تغسل شعرها وترتدي ملابس نظيفة وتزين وجهها، قبل أن تهوي مرهقة على سرير طري وناعم ومريح.

قبل أن يفترقوا، قال سام:

ـ سنتطلق باكراً يا فينيلا، لذا سنودعك الآن.

تطلعت إلى أخيها، وعيناها الزرقاوان الدخانيتان يعلوهما الاضطراب.

ـ هل من الضروري الإسراع بالسفر؟ كنت آمل أن تنتظرا إلى أن تصل السيدة لايتون لتأخذني.

مسّد جيف جبينه:

ـ لا أرى داعياً لهذا، فيني. . أنا واثق تماماً أنك ستكونين بأمان مع هذه السيدة الريفية التي ستعملين لديها. . وإذا كنت لا زلت تأملين بإقناعي بالمجيء معك فانسي الأمر. لقد وضعت خططي الخاصة بي ولا أحد سيغيّرها لي.

مال ليقبلها على خديها:

ـ لن أقول وداعاً. . بل تصبحين على خير. . أنا واثق أننا سنلتقي

بين حين وآخر.

ـ هذا ما آمله.

«وايت كليفز» على بعد مئة وثمانين ميلاً عن بروكن هيل، وهي أقرب بكثير إلى بايترزهيل، لذا ربما كان أخوها على حق.

قال سام:

ـ سنأتي لنراك، وهذا وعد مني. ستكونين هنا في عطلة أيام الأحاد. . أليس كذلك؟

ردت بسرعة: بالتأكيد.

قال سام:

ـ إذن. . ابتسمي. . ولا تنسي نصيحتي، لا تعبثي مع أحد مربي الأغنام. .

تمكنت من الابتسام ثم قال لها بصوت ناعم:

ـ ليلة سعيدة، وقطعاً، لا أقول وداعاً. . سأظهر مجدداً في حياتك. . هل أنت مسرورة؟

أكدت له أنها ستكون مسرورة، لكن السبب هو أنه لو جاء إلى بايترزهيل فسيأتي جيف معه، ذهبت إلى غرفتها فيما كانت تحس حقاً أن مرحلة من عمرها قد انتهت، وأنه من الغد ستبدأ مرحلة جديدة.

قبل ذهابها للقاء السيدة لايتون وقفت تلوّح لسام وأخيها وهما ينطلقان بالسيارة الهولدن.

كانت الحرارة مرتفعة حين عادت إلى الفندق لتأخذ حقيبتها وحمدت الله أنها تضع القبعة على رأسها.

كانت تحن كثيراً كي تكون مرة أخرى في هذه البلدة، التي نمت وكبرت في صحراء قاحلة بسبب اكتشاف مخزون كبير من الفضة والرصاص والزنك.

وصلت مكان اللقاء معكرة المزاج قليلاً، ووقفت تنتظر وحقيبتها فوق ممر المشاة إلى جانبها متوترة بعض الشيء، وأخذت الأفكار تتردد

في ذهنها حول ما جرى في آخر عطلة لها في بايترزعيل.

أعادت رؤية سايمون ماكسويل في «كوبربيدي» إلى السطح كل المشاعر القديمة من الغضب العاجز إلى السخط، اللذين كانا يدفعانها إلى التفكير بالثأر، وأن تفعل معه ما فعله معها.. أن تستميله ثم تتخلى عنه.. أن تنتقم لنفسها.. لكن بالطبع، لن يكون لديها أية فرصة لهذا.

انقطعت أفكارها مع وصول سيارة توقفت عند المنعطف. واتسعت عيناها بسبب الصدمة.. فالرجل وراء المقود كان سايمون ماكسويل! لكن لا يمكن أن يكون سايمون ماكسويل.. ليس مرة أخرى؛ وليس هنا بالذات. تسارع جريان دمها ونظرت حولها بجنون، وكأنها تبحث عن وسيلة هرب. مع ذلك لم تهرب، لم تستطع أن تتحرك.. سمعت صوت باب السيارة يُصفق، لحظتها فقط استدارت وأحنت رأسها كي تخفي وجهها وراء قبعتها الواسعة الأطراف.

كان قلبها يخفق متألماً وهي تسمع وقع خطواته على الرصيف.. حين ظهرت يده النحيلة، أمام بصرها وهو يضعها على ذراعها، ظنت للحظة أنها ستُغمى عليها.

قال: فينيلا.. فينيلا تريفلين؟

سمعت صوته الذي تتذكره جيداً وسط ضجيج الدم في أذنيها.. رفعت رموشها السوداء ونظرت مباشرة إلى هاتين العينين اللتين لا يمكن أن تنساهما.. خضراوان قاتمتان، موشحتان بالذهب. ومع إصراره على استكشاف عينيها أحست برجفة تخترق كيانها.. ولم تستطع فعل شيء سوى التحديق به مع الأمل بأن تستمر ساقاها المرتجفتان بحملها.

تركَ نظرته تطوف ببطء فوقها.. يتفرس بها باستيعاب متعمد، إنشاً وراء أنش..

استردت شيئاً من وعيها وفكرت دون إرادة منها بتلك الليلة. وأجفلت فأبعدت عينيها عن عينيه وهي تقول بفرح مزيف:

ـ سايمون ماكسويل! تصور أن أراك هنا! ماذا تفعل في بروكن هيل؟ كنت أظنك في «أديلايد» أو في مكان ما تكتب مسرحية ما.

رفع حاجبيه المستويين الأكثر قتامة من شعر رأسه وفمه يتحرك ملتوياً بنصف ابتسامة ساخرة.

ـ حسناً.. أنا لست في «أديلايد» فينيلا.. أنا هنا لألقاك.. هل أنت مندهشة حقاً لرؤيتي؟

انتشرت الحمرة على وجهها، وتمتمت:

ـ ماذا؟ ماذا تعني؟ طبعاً أنا مندهشة.. أنا.. أنا أنتظر.. شخصاً آخر.

ـ تنتظرين شقيقتي.. أيما لابتون.. جئت لألقاك بدلاً منها.. اصعدي إلى السيارة.. سنجد مطعماً لنتحدث ونحن نتناول الغداء.. لقد مرّ زمن طويل منذ التقينا أول مرة، أليس كذلك؟ لدينا الكثير لنستعيده.

نظر إلى عينيها وابتسم.. ولم تستطع قول ما يجب أن تقوله، «لا، شكراً لك، لا أريد أن آكل معك، ولا أريد التحدث إليك؛ بل قالت عوضاً من هذا:

ـ هل لدينا شيء نستعيده؟

ماذا ستفعل في بايترزعيل الآن بعد أن تبين لها أنه هناك؟.. لو أنه يعيش هناك فلا شيء على وجه الأرض سيجبرها على الذهاب.. وستقول له هذا خلال الغداء.

فتح لها باب السيارة، لكنها لم تصعد إليها بل راقبته وهو يضع حقيبتها في الصندوق.

تفحصته جيداً وهو يستدير نحوها.. يبدو أكبر سناً.. ووجهه ملوّح أكثر بالسمرة، خطوط فمه أعمق مما تتذكر.. بدا عادياً بشكل أنيق ومعتداً بنفسه كثيراً.. واكتشفت بشيء من الرعب أن مظهره أثر عليها بذات القوة التي كان يؤثر بها عليها عند أول لقاء بينهما.

احمر وجهها ودلفت إلى السيارة دون أن تنطق بكلمة.. تساءلت فجأة وهو يجلس إلى جوارها في مقعد السائق عما إذا كان تعرّف إليها هناك في الملجأ في «كوبربيدي».. لكن هذا غير ممكن فقد كانت قذرة متسخة، أما اليوم فهي تبدو مختلفة تماماً.

لكنه لما أدار محرك السيارة وانطلق بها قال:

ـ ماذا كنت تفعلين في «كوبربيدي» فينيلا؟

ابتلعت صيحة تعجب وذهول:

ـ أنا.. أنا.. ماذا تعني.. في «كوبربيدي»؟

نظر إليها جانبياً وقال بعجلة:

ـ لقد تعرفت عليك رغم الغبار وتصرفك الغريب.

تلطخت وجنتاها باللون الأحمر. وقالت تدافع عن نفسها:

ـ كنت.. أزور أخي.

نظر إليها مجدداً بسخرية:

ـ ذلك لم يكن أخاك

غضبت لتلميحاته وردت: لم أقل هذا.

وصمتت دون أن تكمل، فالصمت أكثر أماناً ووقاراً.. ولدى توقفه فيما بعد فتحت الباب ونزلت من السيارة. سوّت قبعتها على رأسها ونظرت حولها بعينين براقتين ساهمتين لا تريان شيئاً.. ثم انضم إليها على الرصيف.

أمسك ذراعها بثبات وقادها إلى مطعم قريب، جلسا فيه متواجهين حول طاولة فوقها غطاء أبيض. فيما بعد لم تتذكر ما أكلت، وسألها سايمون:

ـ حسناً.. ماذا كنت تفعلين خلال السنوات الأربع الماضية، فينيلا؟

نظرته الآن مختلفة عن السابق.. رغم أنفها أحست ألماً في قلبها.. لكن بالطبع كان كل ذلك تمثيلاً.. أما اليوم فهو لا يهتم بأن

يفتنها.

هزت كتفيها وقالت:

ـ لم أفعل شيئاً كثيراً، وأنت ماذا كنت تفعل؟ هل تقضي إجازاتك في باينترزهيل؟

ـ لا.. فأنا أعيش هناك معظم الوقت. ألم تعرفي هذا؟

اتسعت عيناها الزرقاوان بدهشة متعمدة:

ـ وكيف لي أن أعرف؟ أنا لا أتابع كل تحركاتك.. فتعلق فتيات المدرسة قصير العمر.

وضحكت بخفة.

اسود وجهه، ورأت الغضب يلتهب في عينيه فارتجفت قليلاً، لقد كانت قاسية وكرهت نفسها لهذا. لكن لماذا؟ أليس هذا ما يستحقه؟.

قال بصوت أجش:

ـ لقد عنيت هذا لأنك تقدمت إلى العمل في أملاكي.. ومن المنطقي أن أفترض أنك سألت بضعة أسئلة تتعلق بهذا العمل.

أبدت ابتسامة ساخرة:

ـ تظن بأن فتنتك الفتاكة هي التي جذبتني لأعود إلى الغرب.. آسفة.. لكن لو كنت أعرف أنك تعيش في باينترزهيل لهربت مئة ميل في الاتجاه المعاكس.. فأنا أميز الحجارة السوداء من الاوبال هذه الأيام.

بوجه متورد ومحموم، نظرت إليه من خلال رموشها ورأت عينيه تلتهبان.. طافت عيناها بقلق على وجهه، تستوعبان الأنف القوي، الذي لاحظت للمرة الأولى أنه معقوف قليلاً.. ثم الشفتين القاسيتين، والانحناءة البارزة لذقنه.. ورغماً عنها شعرت بشيء عميق استجابة لما رأت.. لكن هذا أمر طبيعي، ولن تنخدع مرة أخرى بسحره.. ففينيلا تريثلين هذه الأيام تعرف الكثير عن الرجال الوسيمين أكثر مما كانت تعرف يوم كانت في السابعة عشرة، يوم جاء إلى باينترزهيل

ليتسلى بها.. وكما قالت: «هي تميز الآن الحجارة السوداء من الاوبال».

سمعته يسأل بصوت بارد حوّل دمها إلى ثلج:

ـ ماذا يفترض بهذا أن يعني؟

ردت بشيء من التحدي:

ـ ما تختار له أنت من معاني.

تلاشى الغضب من عينيه، وابتسم ابتسامة كريهة:

ـ مما رأيته في «كوبربيدي»، أستطيع القول أن كلامك هو مجرد تبجح.. وأن سماحك لجلف قذر أن يعاملك بخشونة لا يساند كثيراً ادعاءك بحسن التمييز.

احمرت وجنتاها مجدداً:

ـ سام ليس بالجلف.. إنه صديق أخي.. أعتقد أنك ستقول لي إن جيف كذلك هو جلف خشن.

نظر إليها مشدود الشفتين:

ـ أنا لم ألتق أبداً بأخيك.. لذا لن أحكم عليه.. ماذا يفعل في كوبربيدي؟

ـ إنه يحاول كسب عيشه من العمل في حقول الأوبال، إنه في الثامنة عشرة من عمره، ووالدته توفيت منذ شهرين.

فجأة امتلأت عيناها دموعاً، فأحنت رأسها تفتش في حقيبتها عن منديل.

قال بصوت منخفض:

ـ أنا آسف.. ألهذا السبب جئت إلى هنا للعمل كمربية؟

ردت بصوت ثابت:

ـ أجل.. فأنا لم أتفاهم مع زوج أمي بعد رحيلها.. ففكرت بالعودة إلى هنا.

رفعت رأسها فرأته يقطب مجدداً:

ـ فهمت.. إذن أنت وحدك؟

رفعت ذقنها بكبرياء:

ـ لا تظن أن من واجبك الإشفاق عليّ.. أستطيع تدبّر أمري.

ـ وصديق أخيك هذا.. سام.. منذ متى تعرفينه؟

ـ ليس من وقت طويل.. إنه شريك جيف.

ـ أتعنين أنهما ينقبان عن الاوبال؟

هزت رأسها إيجاباً، فنظر إليها بعينين ضيقتين، وسأل:

ـ لو لم تحصلي على هذا العمل في بابترزهيل، فماذا كنت ستفعلين؟

أجفلت.. هل سيقول لها إنه لا يريدها هناك؟ حسن جداً.. فهي لا تريد الذهاب إذا كان هذا يعني أن تتحمله.. قالت:

ـ كنت سأذهب إلى «وايت كليفز» لأنضم إلى جيف وسام. في الواقع يمكنني الحصول على من ينقلني إلى هناك.. وقد أفعل هذا.. فأنا مترددة بالذهاب إلى بابترزهيل الآن.

ـ ولماذا.. بالضبط؟

ابتلعت ريقها بعصبية وقد جف حلقها فجأة. وفكرت: بسببك، لأنني لا أريد أبداً أن تكون لي صلة بك مجدداً. لكنها لا تستطيع قول هذا.. فقالت أول ما تبادر إلى ذهنها:

ـ سام يريدني أن أذهب إلى وايت كليفز.

ابتسم ببرود:

ـ إذن سيصاب بخيبة أمل.. لقد وقعت عقداً للعمل في بابترزهيل، وهذا ما ستفعلينه.

نظرت إليه وأحست بضعف رهيب: أريد أن أذهب. لكن المنطق يعاكس هذه الفكرة.. لن أسمح له بأن يأمرني!

لكن ماذا عن جيف؟ هو وسام سيعودان إلى بابترزهيل لرؤيتها في أول فرصة ممكنة.. ولو ذهبت إلى «وايت كليفز» فلا أمل لها في أن

تعيد اهتمام جيف بالأرض. إضافة إلى هذا فالسيدة لايتون، شقيقة سايمون، تنتظرها لتتولى رعاية الأولاد.. وعضت شفتها، يجب أن تذهب.. لكن هذا لا يعني أنها ستقع مجدداً تحت سحر سايمون ماكسويل.

دفعت كرسيها إلى الوراء ووقفت:

ـ دعنا نتطلق في طريقنا.. لقد سئمت هذا الحديث.

في السيارة، وهي تنطلق بهما إلى خارج المدينة، قالت له ببرود:

ـ لا تظن أنني قادمة لأجلك سايمون ماكسويل.. لقد أتيت لأن السيدة لايتون تحتاجني.. هذا كل شيء، وكنت أرجو لو تركتها تقابلني بدل رمي نفسك عليّ.. كنت تعرف أنني أنا القادمة.. أليس كذلك؟

ثبت عينيه القاتمتين العميقتان على وجهها لحظات، ثم قال:

ـ أجل.. كنت أعرف.. ما الذي حدث لك فينيلا؟ لم تكوني صعبة المراس من قبل.. لقد تغيرت.

صاحت ساخطة:

ـ أوه.. لا يمكنك أن تتوقع أن أتصرف كفتاة مراهقة طوال عمري. لقد كبرت كثيراً منذ آخر مرة رأيتني فيها.. وأصبحت متعقّلة أكثر.

ـ لم ألحظ هذا!

ردت بحدة:

ـ كيف تقول هذا؟ أنت لا تعرف ولو أمراً صغيراً عني!

قال متجهماً:

ـ أنت على حق أنا لا أعرف شيئاً.

تابعا السير بصمت.. كان الطقس حاراً، وأحست فينيلا بالتعب والحيرة.. كل شيء يجري على غير ما كانت تأمل، كانت مقتنعة بأنها مجنونة لسماحها له بإيصالها إلى باينترزهيل ورفضت الإصغاء إلى

صوت خفي في مكان ما من رأسها كان يقول لها ساخراً إنها كانت تعرف مسبقاً أن شيئاً من هذا قد يحدث. على أي حال، هو المالك الآن منذ موت أبيه قبل سنتين. وكان يجب أن تبتعد عنه.. لكن لحسن الحظ ليس هو رب عملها.

مرّ بعض الوقت، نظرت خلاله إلى الطريق المزروعة بالأشجار الشائكة الملتوية، وكانت لا تكاد ترى شيئاً، منطوية على أفكارها.. فجأة سألت:

ـ لشقيقتك ولدان.. أليس كذلك؟ من كان يشرف على تدريسهما حتى الآن؟

لنصف دقيقة تجاهلها تماماً.. فعادت لتسأل:

ـ وهل الأمر سرّي إلى هذا الحد؟

نظر إليها بسرعة:

ـ عمتهما تيفاني كانت ترعاهما.. لكنك ستجدين كل ما تحتاجين لمعرفته في المزرعة.. دعينا الآن نتحدث عن فينيلا تريفلين.

صاحت:

ـ عني؟ لماذا تريد الحديث عني؟

ـ ما بك؟ أيجب أن تثيري الصخب حول كل شيء أقوله لك؟ كنا صديقين يوماً فينيلا.. أو هذا ما ظننته أنا.. أليس من الطبيعي أن أرغب في معرفة شيء عما كنت تفعلينه في حياتك منذ التقينك آخر مرة؟ كنت يومها فتاة مدرسة وأنت الآن امرأة ناضجة.

وأنهى كلامه بابتسامة ساخرة.

عضت شفتها مدركة أنه يفكر بها ويسام كما شاهدهما في الملجأ.. قالت بعناد:

ـ وماذا في هذا؟

ـ توقفي عن أن تكوني صعبة المراس.

داس بقوة على المكابح، وتوقف في ظل شجرة مطاط تنمو إلى

جانب الطريق المغبرة المهجورة.. فنظرت إليه خائفة.. وسألت:

ـ ما الأمر الآن؟

لم يرد، والتقت عيونهما، وخفق قلبها بسرعة. فجأة انتزع قبعته.. وكان صدرها يعلو ويهبط وهي تستند إلى مقعدها تنظر إليه. لم تكن تدري ماذا سيفعل.. لكن جزءاً مجنوناً من دماغها كان يقول لها إنه سيأخذها بين ذراعيه كما أرادته دائماً أن يفعل، وطلبت منه ذلك فعلاً حين كانت مراهقة.

بدلاً من هذا أخذ إحدى يديها بيده وجذبها باتجاهه ونظر إليها مقطباً قبل أن يطوي أصابعها.. كانت أظافرها مكسورة، وبشرتها خشنة من جراء تنقيبها في التراب فانتزعت يدها منه لأنها تكره أن يراها هكذا.

سعت عيناه إلى عينيها متسائلتين دونما ابتسام:

ـ أنت لا تظنين حقاً أن هناك أي مستقبل في هذا النوع من الحياة فينيلا.. صحيح؟

ـ أي نوع من الحياة؟

ـ أن ترمي نفسك على منقب عن الاوبال، وأن تضيعي بين أكوام التراب بحثاً عن أوبال فات الغير أن يجده.

ردت:

ـ هناك الكثير من الناس يفعلون هذا في «كوبربيدي» ويعيشون من عملهم.

ـ يعيشون؟

ـ أجل يعيشون.. ما تفعله أنت ليس الطريقة الوحيدة لكسب العيش.. سام يعرف الكثير عن التنقيب.. ويمكن أن تكون هذه وسيلة عيش مريحة.

سأل بجفاء:

ـ وهل تروق لك؟ أم أن ذلك الرجل.. سام، هو الجاذب

ـ لا شيء.. بدأت أتدرب لأكون معلمة.. لكنني لم أنه تدريبي.. و.. بقيت في البيت.

لامس أحد أصابعه طرف عنقها:

ـ بشرتك وكأنها أوراق وردة بيضاء.. ولا أتصورك تعيشين مع رجال خشنين في موقع للتنقيب عن الاوبال، تلفحك الشمس ويأكلك الغبار.. أتفكرين حقاً بمثل هذه الحياة؟

ـ لماذا.. لماذا لا أفكر بها؟

أحست بسخونة على بشرتها حيثما كانت أصابعه فضمت يديها معاً لتلهي نفسها.. وأكملت:

ـ على أي حال.. أظنني سأكون مرتبطة لفترة لا بأس بها وأنا أقوم بدور مربية في بايترزهيل.. أليس كذلك؟

لم يرد على هذا السؤال الافتراضي.. بل أخذت عيناه تستكشفان عينيها بعمق، وسأل:

ـ أي نوع من المال يجنيه أخوك وشريكه؟

هزت رأسها بغموض، وقالت:

ـ يتدبران أمرهما.. هناك دائماً الأمل بالغد.

ـ لكنه ليس الغد الذي يحلمان به. اصغي إليّ فينيلا.. أنت فتاة صغيرة ذات جاذبية، وأنت وحدك في الحياة، لا تدعي نفسك تنجرفين إلى علاقة لا يمكن أن توصلك إلى السعادة لمجرد أنك احتجت..

توقف فجأة.. فسألت بخشونة:

ـ لمجرد أنني احتجت.. لماذا؟

لم يقل شيئاً، بل نظر إليها فقط، وتحولت نظراته بالتدريج من التفحص الهادىء إلى الحميمية.. وكان العناق الذي حلمت به لسنوات. ولكن من جانب واحد.. كان كل الشوق من جانبها هي ودون أن تشعر ارتفعت ذراعاها تلتفان حول عنقه.

بدا لها أن لا وقت مرّ أبداً. ومع ذلك كان كالأبدية.. وببطء تركها

سايمون.. وسمعته يتنفس نفساً طويلاً عميقاً.. وتشابكت عيناها بعينيه دونما مقاومة.. ولم تعد ترى اللمعان اللهبي فيهما لأن البؤبؤين تحولا إلى السواد تقريباً..

قال بجفاء:

ـ أنا محق.. أرأيت؟ ستضعين رأسك مباشرة في فم الأسد لو ذهبت إلى «وايت كليف». لطالما كنت فتاة عاطفية دافئة ومستعدة لتقعي بين ذراعي أول رجل تلتقين به.

لماذا يحق السماء تركته يعانقها هكذا؟ ولماذا تجادلت معه وكأنها تحبه بجنون؟ دفعت يديه بعيداً عنها واستدارت عنه. قالت وصوتها يرتجف:

ـ أنا لست مستعدة أبداً أن أقع بين ذراعيك سايمون ماكسويل، ولا تتجرأ مرة أخرى.. على فعل هذا.

ـ أتريدين حفظ نفسك لذلك الشريد الذي التقيته في «كوبربيدي» أليس كذلك؟.. لا بد أن ذوقك تغير كثيراً منذ آخر مرة التقينا.

قالت وهي تحمر خجلاً:

ـ أجل لقد تغير ذوقي.. لكن سام ليس متشرداً. على أي حال.. أنا.. لم أحافظ على نفسي طوال السنوات الماضية لأجلك، لا تتصور ذلك.

سمعت صوت نفسه العميق:

ـ لقد بدأت أعتقد أنك لم توفري نفسك لأحد. فأنت تعرفين الكثير عن الاستجابة لرجل، نسبة لفتاة في مثل سنك.. ولا شك أنك اكتسبت كثيراً من الخبرة.

شهقت ساخطة:

ـ كيف تجرؤ على هذا القول؟

أكمل:

ـ أي نوع من المربيات ستكونين لولدين صغيرين؟ لقد فقدت

أخلاقك الحميدة إضافة إلى أشياء أخرى ولست معجباً بذلك.

صاحت ووجهها شاحب كالأموات:

ـ إلى ماذا تحاول أن تلمح الآن؟

قال بحدة:

ـ لا شيء.. انسي الأمر.. أنا أميل الآن لكي أصبح فظاً مثلك.

ابتعد عنها بتطلق بالسيارة، وما هي إلا لحظات حتى كانت تسابق بهما الريح فوق الطريق، والغبار يتطاير خلفهما..

بيدين مرتجفتين، وجدت فينيلا مرآة حقيبتها والمشط.. لم يكن ذنبها أن شعرها انفلت.. ومشطته بسرعة ثم دسته تحت قبعتها.. نظرة في المرآة كانت كافية.. كانت عيناها متسعتين مصدومتين.. وهذا بالتأكيد ما لا تريده أن يراه..

وفيما كانت ترتجف، مالت إلى الوراء في مقعدها واسترقت النظر نحوه.. لكنه كان ينظر بعناد غاضب إلى الأمام.. حتى وهو متجهم هكذا كان يربكها. وأحست بمعدتها تتقلص.. وعرفت أنها ما كان يجب أن تفكر بالعودة إلى بابترزهيل.

***

٤ ـ صديقة قديمة

عند وصولهما إلى أبواب المزرعة المألوفة، ثارت عواطف فينيلا أكثر مما تصورت. كلمتا «بانيترزهيل» المسطرتان بالأحمر على برميل مستعمل كصندوق بريد أثرتا فيها عميقاً.. فتصاعدت الدموع إلى عينيها، وتدفقت ذكريات السنوات السعيدة التي قضتها هنا مع عائلتها.. الآن لم يبق سواها.. كم كان رائعاً لو أن جيف يعمل هنا أيضاً.. ولو أن سايمون ماكسويل لم يكن موجوداً أبداً.

في المنزل وما حوله، لمحت تغيرات واضحة.. ذلك المنظر الرث الذي كان يسمى «البيت» اختفى، الحديقة مزدهرة، وهناك ملعب للتنس.. حتى أنه كان هناك بركة سباحة ظاهرة خلال الأشجار، مما أذهلها.

لم يخرج أحد للقائهما.. وهذا لا يشبه ما كان يحدث في الأيام السالفة، حين كانت وجيف يعودان إلى المنزل من المدرسة الداخلية.. دخلا الشرفة الأمامية التي تغيرت ألواح أرضها وصُقلت حتى تلمع. ووضعت عليها آنية نباتات توفر منظراً هادئاً أخضر، إلى جانب أثاث خيزراني جميل، سألت سايمون:

ـ أين الجميع؟ يبدو لي المكان مهجوراً.. لم يكن هكذا من قبل.

وتلاشى صوتها.. لا شك أن حقيبته ستثور لو بدأت تقارن الحاضر بالماضي وتتصرف وكأنها مهتمة جداً بالمكان. وبشكل غريب، أحست أن شجرة الورد المفضلة لديها لم تعد هناك، وأن

تعريشة مزهرة قد زالت، وهذا ما تأكدت منه بعد إلقاء نظرة فاحصة على الحديقة. ورأت كذلك أن نبتة اليوغنفيلا التي زرعتها بنفسها حين كانت في العاشرة من عمرها قد نمت لتصبح تعريشة ضخمة.

قال سايمون:

ـ سأرى إذا كان هناك من أحد في المنزل.. أعتقد أنك ستحبين العودة إلى غرفتك القديمة، أليس كذلك؟

قالت بشيء من الخجل:

ـ أي ترتيب ترتأونه سيناسبني تماماً.

تساءلت فجأة عما إذا كانت شقيقته هي سيدة المنزل هنا.. أم أنه متزوج.. هذا احتمال لم يتطرق إليه فكرها من قبل وأربكها.. لكن من المستحيل أن تسأله بصراحة.

نظر إليها لحظات مفكراً.. ثم قال باختصار:

ـ تعالي إلى الداخل.

وقادها إلى المنزل.

في الداخل مزيد من التغييرات.. ورق جدران مكان الدهان.. لوحات شخصية لا تعرفها.. قطع أثاث جديدة أضيفت إلى الأثاث الصنوبري القديم الجميل.. الهدوء مطبق وكأن لا أحد في المنزل.. ارتجفت ساقاها.. كل شيء غريب ومثير للاضطراب.. لكنها هي التي اختارت العودة.

أخذها إلى غرفتها القديمة.. ووقفت بالباب تنظر حولها تعض شفتها بارتياك، لا زالت الجدران الصفراء نفسها، المنضدة من خشب الأرز، المرآة ذات الإطار الذهبي، فراش السرير الأصفر والأبيض كان كذلك الذي اختارته بنفسها، وأخذته معها إلى سيدني.. ولا تزال هناك بُسط خضراء مبعثرة، لكنها جديدة، قرب السرير وأمام طاولة الزينة.

وضع سايمون غطاء السرير، فرأت أن الفراش غير جاهز. وقال سايمون:

ـ سأستدعي جانيت لتجهز لك الفراش، وستحتاجين إلى مناشف كذلك.. سأعود إليك حالاً.

واختفى. تقدمت فينيلا إلى المرآة تنظر إلى صورتها المنعكسة.. آخر مرة نظرت فيها إلى هذه المرآة حين كانت فتاة مراهقة، مات والدها فجأة بعد عودتها إلى المدرسة في ذلك الربيع التعيس الذكر والذي لا يُنسى.. حين عادت في المرة التالية، كان ذلك لتساعد أمها على توضيب أغراضهم كي ينتقلوا.. وها هي الآن هنا في ظروف مختلفة.. ومرة أخرى عاد سايمون ماكسويل إلى حياتها.

سايمون! نظرت إلى عينيها في المرآة، ورأت في بؤبؤيها الفرحة لمجرد التفكير به.. وجودها هنا معه في هذا المنزل يبدو أمراً غير حقيقي.

أجفلها صوت من جهة الباب.. ربما تكون جانيت مع المناشف؟ أم أنهما الولدان وقد جاءا ليريا مربيتهما الجديدة؟ استدارت بسرعة وهي تسيطر على تعابير وجهها آملة أن لا تبدو مضطربة كما تشعر في الواقع.

كان القادم سايمون، ومع التقاء عيونهما في الغرفة، أحست بجنون أن ما حدث في السيارة سيتكرر هنا مرة أخرى.. فتراجعت خطوة إلى الوراء تستند إلى طاولة الزينة الصغيرة.

دخل الغرفة رأساً.. ووقف على بعد أقدام قليلة منها: سأقول لك شيئاً لن يسعدك.

أحنت رأسها تنظر إلى يديها: ماذا؟

لمعت فكرة مجنونة في رأسها بأنه سيخبرها أنه متزوج. فبدأت تقول:

ـ إذا.. كنت تعني أنك..

ـ اصغي إليّ لحظة فقط.. لا عمل لك في بايترزهيل فينيلا.

صاحت:

ـ ماذا؟ ولماذا؟ ما الذي حدث؟ أين الجميع؟

شد على شفته السفلى ونظر إليها بحزن:

ـ هذا هو الأمر كله.. «إيما» أخذت الولدين إلى أديلايد.

ـ هذا الصباح؟ ألم تكن تعرف أنها ذاهبة؟ ومتى ستعود؟

ـ ربما لن تعود أبداً.. لقد رحلت منذ أسبوع.

ـ منذ أسبوع! لماذا لم يخبرني أحد؟ لماذا جئت بي إلى هنا؟ لماذا لم تقل لي هذا حين التقينا في بروكن هيل؟

ـ لو أنك فقط تهدأين وتصغين إليّ.. فسأشرح لك كل شيء.

ـ أظن هذا أفضل، فالأمر كله غير منطقي.

وأخذ قلبها ينبض بشدة.. لا عمل.. لا أولاد.. هي فقط وسايمون.. لهذا بدا لها المنزل فارغاً.

ـ لم يكن من الممكن الاتصال بك لأنك لم تتركي عنواناً مع زوج أمك حين تركت منزله.. لقد قال للوكالة إن كل ما يعرفه، هو أنك ذاهبة رأساً إلى بايترزهيل.

ـ لم أجد ضرورة كي أقول له شيئاً آخر.. فهو لم يهتم يوماً بجيف.. لكن لا تحاول وضع كل اللوم عليّ.. كان بإمكانك أن تقول لي بدلاً من أن تجرّني كل هذه المسافة من دون طائل. ماذا من المتوقع أن أفعل الآن؟ كان يمكن أن أذهب إلى وايت كليفز لو عرفت مسبقاً.

وضع إبهامه في حزامه ونظر إليها:

ـ أعرف هذا، لكنها لم تبدُ فكرة جيدة لي.. ولهذا أنت هنا في الواقع.. ولحسن الحظ شاهدت شيئاً مما كان سيحدث لك في «كوبربيدي».

رفّت عيناها بغضب ووقفت.. ومع أنها وقفت، فقد اضطرت لرفع رأسها كي تنظر إليه والنار في عينيها، لتقول بغضب:

ـ وما الذي كان سيجري في «كوبربيدي»؟

رفع حاجباً.. وصوّب نظره نحو جسدها النحيل المستدير:

ـ بالتأكيد لست مضطراً لإيضاح الأمر لك.

صاحت:

ـ لا.. لست مضطراً للإيضاح.. فلا شيء حدث أو كان سيحدث.. لكنني أستطيع تلمس طريقة تفكيرك. ثم ليس لك الحق في أن تتدخل في حياتي.. أو أن تمنعني من أن أفعل ما يحلو لي. أنت لست الوصي علي.. وشكراً لله على هذا.

التوى فمه:

ـ لا.. لست الوصي عليك فينيلا مع أنك بحاجة لوصي.. زوج أمك لا يبدو مهتماً بما تفعلين، لكن يجب أن تتذكري أنني التقيت بوالديك، وأعرف أي نوع من الناس كانوا.. وأعرف الطريقة التي أرادوا أن تكبري بها.

قالت ساخرة:

ـ لكنني كبيرة الآن سايمون ماكسويل.. لقد كبرت منذ فترة طويلة، بل أنا أكبر سناً من أن أقبل بمن يدير لي حياتي.

تجاهل غضبها تماماً:

ـ كيف ستكون ردة فعل والدك لو رأى ما رأيتُ في الملجأ؟

صاحت:

ـ أنت لم ترَ شيئاً! ومن أنت لتتكلم هكذا؟ كان سام يعانقني.. وإذا كنت أنت قادراً على أن تفعل هذا، فلماذا لا يستطيع؟

ـ كان سام يفعل أكثر بكثير من معانقتك.. لكن كل هذا الكلام لن يوصلنا إلى أي نتيجة.. بالنسبة لطريقة تفكيري لدي أسباب معقولة للمجيء بك إلى هنا. أوافقت على هذا أم لا، لا فرق بين الأمرين.

راحت لهجتها تزداد حدة:

ـ حسناً.. أنا لن..

ثم صمتت.. سهل أن تقول إنها لن تبقى هنا.. لكن هذا سيسيء إلى كل الخطط التي وضعتها لجيف. إضافة إلى هذا لا جدوى من

عناد نفسها فهي لا تحب العيش الخشن في «وايت كليفز».. سيكون هناك غبار لا نهاية له، وقذارة لا حد لها، إضافة إلى الحرارة. صحيح أن الرجال يتحملون المصاعب، لكنها هي لن تستطيع ذلك. عضت على شفتها.. ماذا ستفعل؟

سألت أخيراً:

ـ هل هناك من أحد هنا؟ أعني.. لن نكون..

ـ لأجل السماء فينيلا.. أي نوع من الدراما يجري في مخيلتك؟ بالطبع هناك من يعيش معنا.. أنا لست من يدير كل هذا.. زوج أختي بيل لايتون يعيش هنا. ومن الأفضل أن تعرفي أنه تشاجر مع إيما، فهي لم تتحمل العيش في المزرعة. لكن بيل كان عاطلاً عن العمل وهو لا يرغب في أن يعيش على مال زوجته لذا فهو يحاول الانطلاق هنا.. ولكرنا أن وجود مربية قد يساعد إيما على التكيف، لكن لسوء الحظ تركت مديرة المنزل العمل بعد.. آه.. سوء تفاهم.

كشّر قليلاً ثم تابع:

ـ جاءت شقيقة بيل لترعى الأولاد فيما ترتاح إيما قليلاً، ونشرت إعلاناً عن الحاجة إلى مربية وهي لا تزال هنا.. أنتما الاثنتان ستكونان رفيقتين.. إنها لا شك خرجت الآن في السيارة إلى مكان ما، لكنها ستعود في أي وقت.

نظرت فينيلا إليه بقلق، وسألت:

ـ هل أنتما مخطوبان؟

وتمنت لو لم تسأل.. فقد ابتسم دون مرح:

ـ لا.. لسنا خطيبين.. تيفاني تعمل في التمثيل.. وهي تدرس دوراً جديداً الآن، ولهذا تمكنت من قضاء بعض الوقت هنا.

أخذت فينيلا نفساً عميقاً.. هناك الكثير من الناس حولهما كما يبدو.. لكن أين موقعها في كل هذا؟ لماذا عليها أن تجرب البقاء هنا؟ كانت تحس بعدم ارتياح، لأن بيل وأخته سيسألان لماذا جاء بها

سايمون إلى بانيترزهيل حال عودتهما إلى المنزل.

ـ ماذا سيظنان حين يجداننى هنا؟ سيستغربان ذلك، أليس كذلك؟

قال باختصار:

ـ ولمَ يظنان هذا؟ أنت هنا لأنني دعوتك.. على أي حال لا يهم ما يظناه، فبيل يعرف سلفاً أننا نعرف بعضنا.. لقد قلت له هذا حين عدت من كوبربيدي ذلك اليوم واكتشفت أنك ستكونين المربية التي لم أستطع الاتصال بها.

قالت بتصلب:

ـ لا أستطيع القول إننا نعرف بعضنا جيداً.

ـ حسناً، لكنني قلت له هذا. والآن تعرفين الوضع العام وسأتركك لتفرغي حقيبتك.

لم تشعر فينيلا أنها تعرف «الوضع العام» إطلاقاً.. ولم تتمكن من معرفة لماذا يريدها سايمون ماكسويل هنا.. كان يمكن أن يلتقيها في بروكن هيل، حيث بإمكانه إعلامها بالخبر السيء ويعوض عليها المال الذي صرفته للمجيء إلى هذه المنطقة النائية، ثم يودعها. لكنه عوضاً عن ذلك جاء بها إلى هنا.. على أي حال، لم تحب الإحساس بأنها تدفع دفعاً بذلك الاتجاه بهذه الطريقة المتعالية.

ولما استدار خارجاً، نادته: سايمون..

توقف عند الباب: نعم؟

ـ أنا لا أحب أن أُجبر على شيء دون استشارتي أولاً.

نظر إليها متسائلاً:

ـ وماذا ستفعلين بخصوص هذا؟

هزت كتفيها:

ـ سأوافق على البقاء بشرط واحد.

رفع حاجبيه:

ـ وهل أنتِ في موقف يسمح لك بوضع الشروط فينيلا؟ أنا لا

أعتقد هذا.. فما هو شرطك؟

ـ لو جاء جيف إلى هنا ليراني، وأعرف أنه سيأتي.. أريدك أن تعرض عليه عملاً.

ارتفع حاجباه معاً:

ـ إذن أنت لا تفضلين طريقة حياته.. حسن جداً، سأتكلم مع تود بالأمر.. لكن الأمر عائد له ليقرر ما إذا كان سيمنح عملاً لجيف بعد أن يتحدث إليه.. وهذا أفضل وعد أستطيعه.. في المقابل سأطلب منك خدمة.

سألت مجفلة: ماذا؟

تقدم نحوها يمسك بكتفيها:

ـ ستكونين من الآن فصاعداً أكثر تقبلاً لي فينيلا.

اتسعت عيناها من وقع الصدمة:

ـ تقبلاً؟ ماذا.. ماذا تعني؟

شد يديه على كتفيها حتى أحست بقبضته تلامس بشرتها.. وقال:

ـ لا أحب علاقتنا كما هي الآن فينيلا.. أنت لست فتاة يمكن نسيانها.. وتعرفين هذا.. صُدمت برؤيتك في كوبربيدي، صدقي هذا أو لا تصدقي. وها أنت الآن مصممة على العدائية.. والله وحده يعرف لماذا. ما من أحد أبداً قد يظن أنك..

صمت فجأة.. قعضت شفتها بقسوة ووجهها شديد الاحمرار.. كانت نبضاتها تتسارع، وأحست أنه توقف وهو على وشك قول شيء حول تصرفها المجنون تلك الليلة في بستان البرتقال.. أوه.. يا لعار تلك الذكرى! رفعت رأسها إليه دونما ارتياح، ما من أحد سيظنها..

رفعت كتفيها قليلاً:

ـ أعتقد أنك تعني.. أنني كنت.. كنت وديّة.

ـ بل فتنتك أكثر من هذا.

ـ حقاً؟ حسناً.. لقد قال أبي يومها إننا يجب أن نكون لطفاء معك

لأنك ضيفنا.. وفي يوم ما ستملك بانترزهيل.. ولم تكن صحته جيدة ليسليك، لذا قمت بجهد خاص لتسليتك.

كرهت نفسها للأكاذيب التي تتفوه بها.. وأكملت:

ـ في الواقع، خاب أملي فيك يومها مع أنني كرهت أن تعرف ذلك. بدوت لي.. كبيراً.. ولم تكن أبداً تلك الشخصية المذهلة التي تلعب دورها في التلفزيون.

ارتجف صوتها بارتباك وهي تنهي كلامها.. كانت عيناه مثبتتين عليها، والشرارات الذهبية فيهما تتطاير متراقصة كالنار في الأوبال الأسود.. للحظات عصية فقدته سيطرته.. لكنه أمسك معصمها وشدها إليه.. قال:

ـ أنت كاذبة فينيلا تريفلين. كل كلمة قلتها الآن هي كذبة مكشوفة.. وتعرفين هذا. لذا وفري أنفاسك ولا تدعي البراءة.. أعرف جيداً ماذا كنت تشعرين نحوي ذلك الربيع. أتذكرين تلك الأمسية قرب البحيرة حين أصبت بالتشنج؟ أو على الأقل هذا ما قلته؟

شهقت:

ـ لكنني أصبت بالتشنج.. ولم أكن أتظاهر..

قاطعها:

ـ وما كنت تتظاهرين حين رميت نفسك بين ذراعي تلك الليلة.. لكنك بكل تأكيد تتظاهرين الآن، وأنا لا أحب التظاهر.

ارتجفت:

ـ لا.. لا تحب التظاهر؟ هذا أمر غريب.. حقاً غريب.. أنت ممثل.. وكل شيء تفعله.. هو.. هو.. تمثيل بارد دون قلب.. و.. و.. مزيف..

تمتم:

ـ إذا كان هذا هو ظنك.. فجربي هذا.

وشدها إليه بقسوة.. أرادت فينيلا أن تصرخ.. مع ذلك كانت

زاوية مظلمة من كيانها تستجيب له. وعرفت أنها في أية لحظة سوف تفقد السيطرة على نفسها.

ـ سايمون.. أين أنت؟

انبعث صوت نسائي من مكان ما في الخارج. وانتزعت فينيلا نفسها من قبضته لتقف مشعة العينين، صدرها يعلو ويهبط بقوة.. تقدم سايمون إلى باب الشرفة، لكن قبل أن يصل إليه كانت فتاة قد أصبحت هناك تنظر إلى الغرفة، تتجاوزه بنظرها إلى فينيلا.

سألت سايمون بشيء من الاستغراب والصدمة: من هذه؟

ـ هذه فينيلا تريفلين.. فينيلا، هذه تيفاني لايتون.

جهدت فينيلا لتبتسم ابتسامة طبيعية، مع أنها تفضل لو تختفي تحت ألواح الأرض الخشبية. كان وجهها يلتهب احمراراً. صدرها يعلو ويهبط، وهذه الفتاة تنظر إليها وكأنها شيء خارج من كتاب «أليس في بلاد العجائب». واكتفت بالنظر إلى الفتاة إذ لا يبدو أن هناك شيء آخر تفعله.

كانت تيفاني لايتون نحيلة، مليئة بالحيوية، لها فم واسع وشعر بني ذهبي لمّاع يكاد يغطي عينيها اللتين بلون القهوة الشقراء.. كانت ترتدي قميصاً مخططاً وبنطلوناً كحلياً مماثلاً من الجينز. وبدت لفينيلا، ذلك النوع من الممثلات اللواتي يلعبن أدواراً ثانوية!

ـ لكن.. حبيبي.. فينيلا تريفلين! المربية! هنا.. والولدان ليسا هنا! لو جئت بمدبرة منزل لكنت تفهمت.. فلماذا أتيت بمربية أولاد..؟

تلوّت فينيلا في داخلها.. بالضبط.. لماذا؟ هذا ما كانت تدرك مسبقاً أنهما سيسألانه.. ولقد قال سايمون إنه لا يهتم برأي الآخرين.

قال دونما اكتراث:

ـ فينيلا صديقة قديمة لي تيفاني.. وصديقة مميزة. ولدينا الكثير لنتذكره. وبما أننا وصلنا لتونا، فما رأيك في أن تحضري لنا إبريقاً من

الشاي؟

أجفلت فينيلا.. صديقة مميزة.. ! احمرت لتصبح بلون قرمزي، بينما كانت تيفاني تحدق فيها ووجهها دونما تعابير.. ثم قالت بصوت مسرحي:

ـ بالطبع! قادم على الفور! إبريق شاي للمربية.. صديقة سايمون المميزة الصغيرة.

وبانحناءة درامية وتلويحة يد، خرجت من الغرفة.. ونظرت فينيلا إلى سايمون بغضب:

ـ لماذا قلت هذا؟

ـ لماذا قلت ماذا؟ إنك صديقة مميزة لي ولن يضر تيفاني أن تعرف هذا.

أرادت أن تضرب الأرض بقدمها سخطاً وأن تصرخ في وجهه.. إنه مثير للسخط ولا يطاق.. لكنها قالت:

ـ لكن هذا غير صحيح.. ولا يمكنك التلاعب بي هكذا وكأن لا مشاعر لديّ.

ابتسم بسحر:

ـ أوه.. لديك بعض المشاعر فينيلا.. وهذا شيء أعرفه رغم أنها متشابكة معقدة. حتى ولو لم أقل ما قلت.. تيفاني خمّنت أن هناك بيننا أكثر من مجرد المعرفة العادية.. انظري إلى المرآة وسترين ما أعني.

دون إرادة، استدارت لتلقي نظرة سريعة على صورتها المنعكسة في المرآة، وتمنت فوراً لو لم تفعل.. بدا وجهها داكناً مرتجفاً.. أي شخص يراه سيعرف حتماً ما كان يجري. لهذا إذن كانت تيفاني تحدّق فيها.. أوه.. كم تكره سايمون ماكسويل لأنه وضعها في هذا الموقف المحرج.

قالت أخيراً:

ـ سأذهب إلى المطبخ.. لأقول.. لأقول لتيفاني..

وصمتت.. ماذا تستطيع أن تقول لتيفاني؟ نظرت إلى سايمون فوجدته يبتسم.. وقال:

ـ لن تقولي شيئاً لتيفاني.. لقد عرفت لحظة رأتك أنك كنت بين ذراعي.. والأكثر من هذا، أنا أنوي أن ألزمك بوعدك أن تكوني أكثر تقبلاً لي.

نظرت إليه بغضب.. فلم تكن واثقة أبداً أنها ستفعل ما يريده.. تركته فجأة، وذهبت إلى المطبخ.. لا يهم ما ستقوله، فلسوف تصحّح الأمور لتيفاني لايتون، وتشرح لها أن ما قاله سايمون ليس ما فهمته هي.

لاحظت أن المطبخ أعيد تجهيزه. بكل تأكيد، سايمون يصرف المال لتجديد المنزل.. وتساءلت عما إذا كان يريد العيش هنا دوماً. أو أنه تخلى عن عمله في السينما والتلفزيون.. لا تستطيع أن تتصوره مستقراً في مكان واحد ليدير مزرعة أغنام.. لكنه على الأرجح لن يفعل هذا فلديه مدير للمزرعة.

كانت تيفاني تضع الإبريق على النار، واستدارت مع دخول فينيلا لتنظر إليها ببطء من فوق إلى تحت بالتفصيل، وتوقفت نظرتها طويلاً على وجهها.

قاومت فينيلا رغبة داخلية في أن تغطي وجهها بيديها، وسألت بلطف:

ـ هل أستطيع مساعدتك تيفاني؟

اتسعت عينا تيفاني، ورفعت شعرها المجعد عن وجهها، تنظر إلى فينيلا بكراهية ظاهرة:

ـ بإمكانك المساعدة كما تشائين.. سيدتي.. بالنسبة لي بإمكانك أخذ المطبخ كله لنفسك.. مع أن هذا ليس هو السبب الذي جاء بك سايمون لأجله.. أليس كذلك؟

وابتسمت ساخرة، وأحست فينيلا بصدمة باردة تسري في أعصابها.. كانت تفكر في أن تشرح لها حقيقة ادعاء سايمون بأنه مجرد إشارة لقصة قديمة عندما التقاها منذ سنوات.. لكن الكلمات علقت في حنجرتها، فهي لا تعتقد أنها ستصغي إلى كلماتها.

فتحت تيفاني خزانة وأخذت تنزل منها الفناجين والصحون، وتضعها بحدة فوق صينية.. ولم تكن تفتقد للكلمات:

ـ هيا، تقدمي فينيلا تريفلين.. توجي نفسك ملكة لهذا المنزل.. اصنعي الشاي، قطعي كعكة محلاة، حضري العشاء.. افعلي ما يحلو لك، ولا تدعيني أعيقك.

استندت إلى رف المغسلة تنظر إلى فينيلا بعينين لامعتين، وأكملت:

ـ ستجدين أن هناك مجالات عديدة تُظهرين فيها مواهبك هنا.. هذا إذا كنت تملكين مواهب أخرى غير الظاهرة منها. لقد تركتنا الطاهية منذ أسبوع أو أكثر. صحيح أنها لم تكن خسارة، فقد كانت امرأة إنكليزية متنفخة.. وأرادت أن تأمرني وتنهاني.

بدأت فينيلا تفهم لماذا تركت مديرة المنزل عملها هنا.. قال سايمون إن هناك «سوء تفاهم» حصل.. تسبة لتلميحات تيفاني أصبح «سوء التفاهم» واضحاً.. وتراءى لفينيلا أنها وتيفاني، لن تصبحا رفيقتين طيبتين أبداً كما اقترح سايمون.. لا سيما وأنها مرتابة بشدة بأن تيفاني تحب سايمون، وترى فيها خطراً يهددها.. لكنها مخطئة جداً في هذا.

وهي تتقدم إلى البراد لإحضار الحليب، أخذت فينيلا تفكر آلياً أنها لا يمكن أن تبقى هنا.. كلما أسرعت في الاختفاء كان أفضل لها.. أما بالنسبة لجيف، فقد كانت قلقة عليه، لكن يجب أن تنسى طلبها المساعدة من سايمون ماكسويل ليوظفه.. فهذه أصلاً فكرة غبية.

قالت تيفاني:

ـ أعتقد أنك لا تدركين أن سايمون يعطي كل فتاة جميلة على حدة انطباعاً خادعاً بأنها مميزة.

استندت إلى الطاولة تاركة فينيلا لمتابعة تحضير أكواب الشاي، وأكملت:

ـ وهذه العادة متأصلة فيه منذ كان نجماً سينمائياً.. وهي التي تكسبه كل شيء.. وأنا أفهم هذا تماماً لأنني من نفس عالمه. لست أدري متى أو أين التقيتما أو كم تعرفينه، لكنني أود أن أنصحك أن لا تأخذيه على محمل الجد كثيراً.. عزيزتي.

قالت فينيلا:

ـ لا داعي للقلق.. أنا لا آخذ سايمون ماكسويل على محمل الجد كثيراً.

إنها ليست بحاجة لدرس جديد، فالماضي، كان لا يتناسب كثيراً مع الحاضر. بدا الأمر وكأنها عادت لتنام في السرير الذي اعتادت عليه وهي طفلة، لتجد رجلاً فيه.. وهزتها الفكرة.. أخذت إبريق الشاي الخزفي، اتجهت به إلى الطباخ، لكن صوت تيفاني الحاد قطع حبل أفكارها:

ـ أخشى أنني غير مقتنعة بكلامك.. فأنا لم أر فتاة من قبل تبدو مسلوبة اللب مثلك فينيلا. ولا شك أن وجود شابة نضرة في مثل عمرك تلاحقه دونما خجل هو مما يمنحه متعة كبيرة.. تتمسكين بوظيفة هنا، لم تدرين أبداً صمّاء بعدما أعلمتك الوكالة أن الوظيفة لم تعد موجودة، وتقومين برحلة ألف ومائتي كيلومتر إلى هنا رغم كل شيء! ما هي القصة الحزينة التي اخترعتها حين قال لك أن لا عمل لك هنا؟

اكتشفت فينيلا فجأة أنها تغلي اضطراباً، وتوجهت إلى الفتاة وإبريق الشاي في يدها لتقول بجرأة:

ـ لست بحاجة أبداً لاختراع قصة حزينة تيفاني.. أما عن سبب

مجيء سايمون بي إلى هنا، فعليك أن تطرحي عليه هذا السؤال إذا كنت حقاً ترغبين في معرفة الجواب.

زاغت عينا تيفاني:

ـ أعتقد أنكِ تحاولين إقلاقي بهذا الكلام، فينيلا. لكنك ستجدين نفسك في مواجهة منافسة شرسة.. فأنا أكثر سوءاً من سايمون حين يصل الأمر إلى حدّ الحصول على ما أريد.

عرفت فينيلا من كل هذا، فهي لا تريد أن تلعب مع تيفاني وسايمون.. من الأفضل أن تكون مع جيف وسام. على الأقل تعرف معهما ما هو موقعها.. ووعدت نفسها بأن تكون في وايت كليفز بعد يومين على الأكثر..

أثناء الصمت الذي ساد، جاء سايمون ووقف بالباب وقال:

ـ لن أنضم إليكما، فلدي بعض العمل.

انسلت تيفاني بهدوء، وأمسكت الصينية المليئة، وأرسلت له ابتسامة:

ـ سآتيك بالشاي إلى المكتبة.. هل أفعل ذلك حبيبي؟

ـ سأكون شاكراً.

واختفى.

بدت تيفاني خجلة وهي تصب فنجان شاي لسايمون، حتى أن فينيلا لم تتمالك نفسها عن القول:

ـ ستكون المنافسة شرسة بالتأكيد، تيفاني. لماذا لم أسبقك إلى هنا؟ إن الكثير يمكن أن يحدث حين تأخذين فنجان شاي إلى رجل في مكتبه!

ردت تيفاني بلؤم:

ـ حين يعمل سايمون.. فهو حقاً يعمل.. لكن هذا أمر ليس من المتوقع أن تفهمه مربية صغيرة مثلك.

ونظرت إليها نظرة إشفاق قبل أن تختفي.

تناولنا الشاي في الشرفة الجانبية التي اعتادت فينيلا أن تجلس

عليها مع عائلتها بعد الظهر.. سرحت نظراتها الحالمة تحوم حول خضرة الحديقة الجميلة جداً. وأخذت تصغي إلى صيحات طيور «الكوكاتو» والببغاوات، التي تبيت مع حلول المساء بين الأشجار قرب البحيرة.. كل ذلك لا يزال كما هو.. لكن الناس هم من يهمها أكثر.. والأحبة قد رحلوا.. وبدلاً منهم، كان أمامها تيفاني لايتون، المصممة على الإقلال من شأنها.. وسايمون الذي لا تفهم أبداً دوافعه.. إلا إذا.. وخطرت ببالها فكرة.. إلا إذا كان يأمل أن يستغلها للخلاص من تيفاني.. فتلك كانت الطريقة نفسها التي استخدمها للتخلص منها من قبل، ولا تزال تتذكرها بكل مرارة.. لكنها لا تتصور أبداً أن ينجح بسهولة هذه المرة.. إضافة إلى أنها لن تسمح له باستغلالها.. كما سيكتشف قريباً.

وعت أن تيفاني تتكلم معها، فنظرت إليها:

ـ آسفة.. ماذا قلت؟

ـ قلت إن هذا الصوت يشبه صوت سيارة بيل.. سأحضر له بضع علب من العصير الجاهز من البراد.

أصيبت فينيلا بانفعال عصبي آخر، ذلك أن بيل لايتون سيرغب بدوره بمعرفة سبب وجودها هنا. حسن جداً.. الحمد لله أن سايمون ليس هنا ليقول له إنها صديقة مميزة.

لكن لحسن الحظ لم يبدُ شقيق تيفاني صعب المراس. كان أكبر بسنوات عدة من أخته، وشعره مجعّد وخفيف، وعلى مظهره سيماء الاهتمام والانشغال.

قالت تيفاني التي عادت لتوها مع علب العصير، لبيل وهو يصعد السلم نحو الشرفة:

ـ هذه هي المربية.. فينيلا تريفلين.. لم يعرف سايمون ماذا يفعل بها فجاء بها إلى هنا.

ابتسم بيل:

ـ آسف لهذا.. فعلنا ما بوسعنا حتى نصل إليك ونوقف رحيلك.. لكننا لم نجدك. على أي حال أعتقد أنك لن تمانعي في زيارة المكان.. إنها رحلة تكاد تكون عاطفية.. أليس كذلك؟ أعتقد أن سايمون ذكر لنا أن والدك كان مدير المزرعة يوماً.

ـ هذا صحيح.

من طرف عينها رأت تيفاني تجفل انزعاجاً لأنها لم تعرف من قبل هذه المعلومة المهمة، لكنها قررت تجاهلها. وأكمل بيل:

ـ ستلاحظين بضع تغييرات على ما أعتقد.. بركة السباحة مثلاً، أستطيع القول أنك كنت معتادة على السباحة في البحيرة.

أحست بنفسها تحمر انفعالاً:

ـ أجل.

وأدارت رأسها جانبياً بسرعة.. مرة أخرى أكمل باكتتاب:

ـ لن تجدي صعوبة في ملء أوقاتك ليضعة أيام، بما أنك فتاة ريفية.. لدى سايمون أحصنة عدة إذا أحببت الركوب.. وهذا ما لا تحبه زوجتي ولا شقيقتي.. سيتدبر سايمون أمر إيصالك إلى بروكن هيل حين تكتفين من الجلوس معنا، وقد أكون أنا من يوصلك.

تناول جرعة كبيرة من العصير:

ـ تفهمين جيداً أن إيما قد لا تعيد الولدين إلى هنا.. أليس كذلك؟ لقد وجدت صعوبة في التكيف مع هذه الأماكن النائية.. «هروب» الطباخة كان القشة التي أفاضت الكأس.. وإذا كنت تريدين حقاً وظيفة المربية، أنصحك بأن تفتشي عن فرصة ما في بروكن هيل عندما تعودين إليها.

أكمل شرب ما في العلبة من عصير ووقف:

ـ لو عذرتماني، سأذهب لأستحم، وأخلع هذه الملابس. على الأقل، سيكون معك من يساعدك في تحضير العشاء تيفاني.. ويجب أن يسعدك هذا.

كانت تيفاني تشعل سيكارة.. ولم ترد.

٥ ـ عيناه لغز

رغم تأكيد تيفاني لفينيلا أن بإمكانها فعل ما تشاء في المطبخ، إلا أن فينيلا لم تجد الترحيب الملائم هنا تلك الليلة. والأسوأ من ذلك أن تيفاني زاد غضبها لأن أحداً لم يقل لها مسبقاً إن فينيلا كانت تعيش في بايترزهيل فيما مضى.. وتأكدت فينيلا أن هذه الفتاة لم تعد صديقة محتملة. ولا شك في أنها اطمأنت أكثر بعد العشاء حين انزوى سايمون مجدداً في مكتبه.

مع كل هذا لم يطمئن قلب فينيلا.. بل على العكس. زاد إحباطها بشكل سيء.. أرادت أن تقول له إن هذا الهراء يجب أن يتوقف.. فهي لن تقيم هنا إلى أجل غير مسمى بناء لرغبته.. وهي بحاجة إلى عمل، وبحاجة أيضاً إلى المال.. وإذا كان ينوي أن يدفع تيفاني بعيداً عنه، فلا شأن لها بهذا.

حين توارى أخاً فهونه معه بقيت في غرفة الجلوس تروح وتجيء تتصارع مع أفكارها. وجلست تيفاني إزاء طاولة عليها مصباح منكبة على أوراق مطبوعة على الآلة الكاتبة. وكان واضحاً أنها تعمل على سيناريو الإنتاج الجديد للتلفزيون الذي تشارك فيه. بينما جلس بيل مسترخياً في مقعد بذراعين يحدق باكتتاب في الفضاء ويصغي إلى موسيقى قاغتر من شريط مسجل.

تمنت فينيلا لو تفعل شيئاً.. بعض الخياطة.. كان هذا مما سيمنحها الاطمئنان.. لكن آلة خياطة والدتها لا تزال في منزل جورج تايلور في سيدني..

فيما كانت واقفة أمام خزانة كتب، لفت نظرها كتاب عنوانه: «دليل صياد الأحجار الكريمة». . وبعد تقليب صفحاته قررت أخذه معها إلى غرفتها. . فإذا كانت ستنضم إلى سام وجيف فعليها أن تسلح نفسها بكل المعرفة التي تستطيع الحصول عليها.

جلست على المقعد الصغير في غرفتها، ونظرت إلى يديها. . كان سايمون قد لاحظ خشونتهما، وهما بالتأكيد في حالة سيئة جداً لكن بقليل من العناية سيعودان إلى طبيعتهما. ولن يتوفر لها ذلك لو أنها في «وايت كليفز». . لكن هل يهم الأمر إلى هذا الحد؟

تنهدت وراحت تتصفح «دليل صياد الأحجار الكريمة». . لو أن جيف وسام يصيبان ثروة فجأة! عندها يعودون جميعاً إلى المدينة. . لكن ماذا بحق الله ستفعل هناك؟

أوه. . لو أن إيما لايتون هي التي التقتها في بروكن هيل بدلاً من سايمون. . ! لو أن الولدين لا زالا هنا!

تجاهلت دموعها المترقرقة وأعطت اهتمامها للكتاب، تدير الصفحات إلى القسم المتعلق بوايت كليفز.

سرعان ما اكتشفت أن ما قيمته أكثر من مليونين ونصف المليون دولار من الأوبال، اكتشفت في مناطق لا تبعد أكثر من مئة وخمسين ميلاً عن مناطق التنقيب. . وبدراسة الخريطة الصغيرة المرفقة مع الكتاب، قررت أن والدها ربما كان على حق فيما خص وجود الاوبال في بابتيزهيل. . لذا، وقبل أن تغادر المكان، يجب أن تلقي نظرة على الحقل البعيد الذي وجدوا فيه الحجر الأسود. .

طرحت الكتاب على السرير وسارت نحو الشرفة تتأمل الليل في الخارج. . لكنها لم تستطع أن تصغي إلى عواء ذئب «الدنغو» أو إلى صراخ ابن آوى كما كانت تفعل منذ زمن طويل. . فقد انسابت موسيقى «فاغنر» إلى الشرفة تخفي كل الأصوات الأخرى. . وفيما كانت على وشك الخروج والنزول إلى الحديقة الهادئة، غيرت رأيها. . ففي مكان

لا يبعد كثيراً عنها، كان سايمون هناك مستنداً إلى سياج الشرفة.

وقفت تنظر إليه، فأحست بنبضاتها تتسارع بسبب ما قررت أنه الغضب. . فيما مضى كان هذا بسبب افتتان المراهقة، لكنها كبرت على هذا وتجدد الآن مثيراً للسخط. . كان مجرد رجل وسيم يجذب النساء إليه حتى دون أن يرفع إصبعه. . كان يدخن سيكارة ولا يحس بوجودها. .

وقفت مسمّرة. . ربما كان يفكر بتلك المسرحية. . أم أنه يفكر. . بها؟ أم بتيفاني؟

أحست بمزيج من الفضول والكراهية وهي تقف تراقبه بصمت. . لقد تجاهلها هذه الليلة، وهذا ما لم تتوقعه، ولم يقدم كلمة تفسير واحدة قبل أن يختفي بعد العشاء. . حتى أنه لم يتمنى لها ليلة سعيدة. . مع ذلك، من المفترض أن يكون في صدد إقناع تيفاني أنهما صديقان مميزان! آه. . صديقان مميزان! خطر ببالها أن تسير نحوه لتقول له إنها لن تقبل بأن يدفعها إلى فعل أي شيء بعد الآن. . وإن على أحد، كائناً من يكون، أن يعيدها إلى بروكن هيل في الغد. . أو إلى وايت كليفز.

لكنها لم تفعل ذلك وبطريقة ما لم تستطع أن تكون جسورة إلى درجة أن تقطع عليه تفكيره، في وقت كان فيه من الواضح أنه يرغب في أن يكون وحده. . وتراجعت بسرعة إلى الغرفة.

لم يأت أحد ليوقظها في الصباح. لكنها استيقظت باكراً منتعشة وانضمت إلى سايمون وبيل لتناول طعام الفطور وكانت تيفاني تحضره في المطبخ. . ولم تعرض مساعدتها هذا الصباح بعد الرفض القاطع الذي واجهته ليلة أمس.

حياها سايمون مبتسماً حتى ظهرت أطراف أسنانه البيضاء وهو ما أثار اضطرابها قليلاً:

ـ صباح الخير. . أرجو أن تكوني قد نمت جيداً. . فتشت عنك

البارحة لأتمنى لك ليلة سعيدة، لكنك كنت قد ذهبت إلى الفراش.

هزت كتفيها: كنت متعبة.

دخلت تيفاني لتفرغ طبقاً يحتوي على البيض وشرائح اللحم.. وسألت فينيلا باقتضاب:

ـ أتريدين شيئاً من هذا؟ تذكرت كم أكلت ليلة أمس فظهرت المزيد من الطعام هذا الصباح.

اتسعت عينا فينيلا.. لا تذكر أنها أكلت كثيراً ليلة أمس. على أي حال تحس بشهية قوية هذا الصباح على الرغم من كل شيء.. وردت مبتسمة:

ـ شكراً تيفاني.. يبدو هذا شهياً.

كانت تتكلم وهي تملأ طبقها من الطعام، وتحت أنظار تيفاني راحت تلتهم الطعام التهاماً.

كان سايمون وبيل يتحدثان بشؤون المزرعة، وأوضحت تيفاني:

ـ أكره أن أقول هذا فينيلا.. لكن إذا كنت ستأكلين كجواد.. فيجب أن تساعديني في المطبخ.. قد تظنين نفسك «سيدة» من حقها الاسترخاء، لكن أمامي أشياء أخرى لأفعلها إضافة إلى العمل في المطبخ من أجلك.

ـ لكنك رفضت مساعدتي ليلة أمس.. سأتولى عنك الطهو لو أحببت ذلك، لكنني لا أريد أن أتطفل على مناطق اختصاصك.

قالت تيفاني بصوت منخفض:

ـ هذا ليس انطباعي عنك.

قطع سايمون الذي كان يصغي بنصف انتباه إلى حديثهما ما كان يقوله لبيل، ليعلق:

ـ أرجوك تيفاني.. لا تجعلي من نفسك ضحية.. عرضت فينيلا عليك تولي الطهي عنك، وإذا كنت ترغبين بالعودة إلى «أديلايد» فبإمكان تود الاستغناء عن بيل ليوم أو اثنين حتى يوصلك.

رفرفت تيفاني عينيها، ثم ابتسمت ابتسامة مسرحية مشرقة:

ـ حبيبي.. لا تكن متوتراً هكذا.. أنا لا أجعل من نفسي ضحية.. أحب المقام هنا، وأعبد الهدوء والسكينة. قد أفقد عقلي في تلك الشقة التي تشبه بيت المجانين في المدينة.. وأنا أهتم بمصلحتك من كل قلبي أيضاً، وتعرف هذا سايمون.. أنت بحاجة إلى العون لتعوض عن التأخير الذي تسببت به بذهابك إلى بروكن هيل.

بدا عليه التوتر:

ـ لست بحاجة إلى أي عون.

قطبت قليلاً:

ـ حبيبي.. لكنني أظن أنك بحاجة إليه.. وعلى فينيلا أن تدرك أننا مشغولون، ولا نستطيع إعادة تنظيم أنفسنا لمجرد أنها أقحمت نفسها بيننا.. يجب أن تفهم أنك تأتي في المقام الأول والأخير.

نظر سايمون إلى فينيلا مبتسماً بسحر غامض وكأنه يقول: هل أنت مستعدة لتقبل هذا؟

نظرت إليه، والتقت عيونهما، لتحس بخديها يلتهبان، وحاولت استكمال الفطور، لكنها اكتشفت أنها فقدت شهيتها للطعام.

اعتذرت وعادت إلى غرفتها.. كانت تيفاني على استعداد كامل لافتعال المتاعب، وهذا أمر واضح.. مع أنها لو كانت تعرف الحقيقة لوفرت على نفسها الكثير.. فينيلا ستغادر هذا المكان بأسرع مما تتصور.. وإذا كان من الممكن الاستغناء عن خدمات بيل لإيصال تيفاني إلى أديلايد، فلا شك أن بالإمكان الاستغناء عنه ليوصلها إلى بروكن هيل.

من الأفضل أن تصل إليه قبل أن ينطوي على نفسه لتقول له إنها لن تبقى هنا مدة أطول مما يلزمها.. وارتجفت للفكرة.. فهي تعرف تأثيره عليها، والأسوأ أنها تعرف ضعفها فهي في الواقع ليست فتاة معتادة على الإصرار على ما تريد.. وقبل أن تذهب لتبحث عنه ظهر

عند باب شرفتها، فاستقامت في جلستها على السرير، والدم يرتفع بسرعة إلى وجهها.

سألت بعدوانية: ماذا تريد؟

تمكن حاجباه المستقيمان الكثيفان أن يتقوسا.

ـ لا تتحديني فينيلا..؟ أنت سريعة اللسع كالقنفذ! كنت سأسألك ما إذا كنت ترغبين بصحبتي على جواد إلى البحيرة.

خفق قلبها بسرعة:

ـ نزهة.. على ظهر جواد؟

كانت تتخيل لقياه في الردهة أو على الشرفة لتقول له ببرود إن لديها شيئاً تقوله له.. بعد ذلك يجري حوار بينهما في المكتبة، هو وراء طاولته وهي في الجهة الأخرى.. لكن بدلاً من هذا ها هو يقف عند باب غرفتها.. ومهما حاولت فلن تستطيع نسيان ما جرى بينهما في هذه الغرفة بالذات يوم أمس.

عضت شفتها:

ـ لا تذكر أبداً يتعزيتي.

ـ لا شيء أبعد من هذا عن فكري. أنا أركب جوادي كل صباح بعد الفطور.. وهذا جزء من برنامجي اليومي.

قالت بضعف:

ـ أوه.. حسن جداً.. لا بأس.

ولماذا لا؟ ستتمكن هكذا من القول له وهما يتنزهان إنها قررت الرحيل.. وبإمكان بيل أن يأخذها إلى بروكن هيل.. أو إلى «وايت كليفز».. و.. وداعاً سايمون ماكسويل.. إذا كنت لا تزال تواجه مشكلة في إبعاد تيفاني لايتون عنك.. فهذا أمر مؤسف!

قال:

ـ انزلي إذن إلى باحة تسريج الخيل بعد ربع ساعة.. ولا تنسي ارتداء القبعة.

ابتعد عنها.. واكتشفت أنها كانت تحبس أنفاسها. لماذا بحق الله وافقت على الخروج معه؟ لماذا لم تقل له للتو ما تنوي أن تفعل وينتهي الأمر؟ وكرهت نفسها لضعفها ولخضوعها له هكذا.

غيرت ثنورتها ببنطلون جينز وخلعت صندالها واستبدلته بحذاء منخفض الكعبين، ثم اعتمرت قبعة قطنية.. واتجهت إلى فناء تسريج الخيل.

ركبا جوادين جنباً إلى جنب ثم اتجها إلى البحيرة.. بدا لها وسيماً بشكل مثير على صهوة جواده.. ولم تستطع أن تفارقه بعينيها. الأعذار والتبريرات راحت تتخذ مكانها في سياق فكرها، لم تجد سبباً حقيقياً لرغبتها في ترك المكان. كان مجيئها إلى بايترزهيل له طبيعة الرحلة العاطفية كما قال بيل، وهذا كل شيء، إضافة إلى هذا لا تريد فعلاً أن تذهب إلى وايت كليفز لتتورط مع سام. لقد أحسن التصرف معها حتى الآن.. لكن كيف لها أن تعرف أنه سيستمر هكذا؟

كانت الشمس دافئة، ولم يكن في الجو أي أثر للريح.. وتلاعب ما حولها بأحاسيسها ليخدّرها حتى أنها عادت مرة أخرى فتاة السابعة عشرة التي خرجت يوماً فوق صهوة حصان مع سايمون في حقبة من الزمن تبدو الآن بعيدة كزمن الحلم.. لكن سايمون لا يعيرها الآن اهتماماً كما كان يومها.. وهذا أمر غريب.. مع أنها تتذكر جيداً حرارة عناقه بالأمس.

وصلا الأشجار قرب البحيرة، وأحنت رأسها بسرعة مع مرور الجواد قريباً من غصن متدلٍ من شجرة.. لم يقل سايمون شيئاً، ولم تعرف إطلاقاً ماذا يجول في رأسه.. ربما كان يفكر بالمسرحية، أو كيف يُبعد عنه تيفاني إلى أديلايد ويقنعها بأن تنسى الرجل الذي..

الذي ماذا؟ نظرت فينيلا جانباً إلى سايمون فوجدته شارد التعابير، حاجباه المنخفضان يخفيان عينيه عنها.. لا يمكن أن تصدق أنه اكتفى بغزل عابر لتيفاني.

بعد لحظات حين شد لجام مطيته، فعلت مثله تلقائياً. كانا قد وصلا إلى ذلك الجزء من البحيرة حيث كانا يسبحان. . ورأت حيلاً قديماً متدلياً من غصن شجرة مطاط نهرية ضخمة في الضفة المقابلة، كانت فينيلا وجيف يستخدمانه للتأرجح فوق الماء قبل رمي أنفسهما مع صيحات الابتهاج. كانت حشرات اليعسوب تطوف ببطء. . وتحت قوائم الجواد، رأت الرمل الأحمر حيث تمددت يوماً ليدلّك سايمون ساقها المتشنجة. فجأة بدا وكأنها عادت إلى الوراء أربع سنوات، ليس فقط بالذكرى، بل في الواقع. وأخذ قلبها يضرب بشدة، كما فعل ذلك المساء، وكل ما كانت تعيه، هو أنها هنا وحدها معه.

رفعت عينيها تنظر إليه متسائلة. . واستقرت عيناها على وجهه البني الذهبي المتجهم، غير المبتسم، عيناه كبركتين خضراوين تتوهجان بأشعة الشمس، تماماً كما تتذكرهما دائماً.

قال بصوت ناعم منخفض: فينيلا.

انخلع قلبها واندفع الدم بشدة في شرايينها، وتحول لون وجهها إلى القرمزي. . ثم انحسر ليتركها شاحبة مرتجفة. بدا سايمون كظل أسود وهو ينزل عن ظهر الجواد ويتقدم إليها بسرعة، ودون أن تدري ما تفعل، انزلقت بدورها إلى الرمل الأحمر إلى جانبه، وكأنها في حلم أصبحت بين ذراعيه. . ورفع وجهها نحوه بحيث أصبحت تحدق في عينيه.

وراح نبض الدم يخفق في أسفل عنقها وعند فوديها، وكان عناق طويل حميم يقطع الأنفاس، وكأنهما لا يريدان افتراقاً.

ثم رفعت رأسها إليه فوجدته يبتسم لها بانتصار. . وانتزعتها فكرة صارمة بخشونة فقطة من حالة الذهول، فغاصت ببطء في الرمل الأحمر، وأخذت قبضة منه لتتركها تنساب بشكل متقطع من بين أصابعها. كان هناك صف طويل من النحل يسرع الخطى، ودخلت في مجال نظرها حشرة يعسوب زرقاء مشعة، وقفت في الهواء دون حراك

قبل أن تبتعد. . بدأ الجو يسخن فأخذت نفساً عميقاً بطيئاً. . كان سايمون قد جلس على عقبيه لكنها أجبرت نفسها على أن لا تنظر إليه. . وتساءلت في نفسها: ماذا يرى؟ وعضت شفتها بقسوة مع تحول لونها مجدداً. فهي تعرف الرد على هذا السؤال. . إنه يرى أمامه الفتاة الشابة السخيفة إياها والتي قالت له يوماً، وفي هذا المكان بالذات، إنها تحبه. . والآن بين أشجار البرتقال تلك تؤكد هذه الكلمات بأفعال مشهورة. . فلماذا تركته يعانقها؟ ولماذا لم تستطع التحكم بمشاعرها حين أخذها بين ذراعيه؟

أخيراً تمكنت أن تبتسم ببرود، وهي تقول:

- كان يجب أن تحذرني أن مثل هذا الأمر وارد في تفكيرك حين طلبت مني الخروج معك هذا الصباح.

تحولت عيناه السوداوان إلى لغز محيّر:

- لم أكن أعتقد أنك بحاجة إلى تحذير. . فلماذا تظنين أنني طلبت منك الخروج معي؟

تمنت أن لا يسمع دقات قلبها وتمتمت:

- ليس. . ليس لأجل هذا. وليس في مثل هذه الساعة المبكرة من الصباح. . لقد جئت معك الآن لأنك اختفيت ليلة أمس بعد العشاء مباشرة. . وكان هناك شيء أريد أن أكلمك عنه.

مد يده فأمسك يدها بنفاد صبر، ووجدت نفسها تقبض باليد الأخرى حفنة رمل أخرى.

- إذن، هيا. . قولي بصراحة. . عن ماذا تريدين الكلام؟

سحبت يدها منه ورفعت عينيها عن ظله:

- ظننتك خمّنت ما أريد قوله. . كانت صدمة لي بالأمس حين قلت لي إن شقيقتك أخذت الولدين إلى «أديلايد». . ولم يكن لدي وقت للتفكير، ولم أكن أدري ما أفعل حين وافقت على البقاء.

رفع حاجبيه متسائلاً:

ـ بدا لي أنك تعرفين جيداً ما كنت تفعلين.

احمرت قليلاً، وارتفعت نظراتها إلى عينيه، شبه المختبئتين تحت رموشه الكثيفة، التي حولت الشمس أطرافها إلى اللون الذهبي.. عبر تلك الرموش كانت حدقتاه تتوهجان وكأنهما قعر بئر ماء في الأدغال.. وقالت:

ـ أعرف أنك واقفت وأعرف لماذا.

ارتسمت على وجهه ابتسامة فاترة:

ـ يجب أن تعرفي لماذا.. لأنني قلت لك ذلك.. لا يعجبني جريانك الأعمى إلى المواقف غير السليمة.

اتسعت عيناها وقالت:

ـ أنت لا تراعي مصلحة الغير كما تريدني أن أصدق سايمون ماكسويل.. أنا لست غبية.. أنت تريدني هنا حتى تتخلص من نيفاني.. أليس كذلك؟

قطب جبينه:

ـ نيفاني مرحّب بها هنا، تأتي وتزور شقيقها وتقيم أيضاً.. أما بالنسبة لغيرتي على مصلحة الغير فأنا بالتأكيد أفكر بمصلحة نفسي. ومن منا لا يفعل هذا؟

رسمت دائرة بأصبعها فوق الرمل.. ثم نظرت إليه، وقالت مرتجفة، في وقت كانت تريد فيه أن تكون حازمة:

ـ حسناً.. عليّ كذلك أن أفكر بنفسي.. أنا.. لم أعد أريد البقاء هنا.. بإمكان بيل أن يوصلني إلى بروكن هيل غداً.. أو إلى وايت كليفز. قلت هذا الصباح إن بالإمكان الاستغناء عنه ليوم أو يومين

وقف فجأة، فوقفت بدورها وهي تتعثر، ونظرت إليه وكأنها تتوقع رداً منطقياً لا دخل للمشاعر الشخصية فيه.. لكن دون جدوى.. فهي دائماً ستصدم بتأثير جمال طلعته عليها.. كانت نبضاتها سريعة، على الرغم من قساوة عينيه وتجهم وجهه.

قال ببرود:

ـ لن يأخذك بيل إلى أي مكان فيتيلا.. انسي ذلك.. لا أستطيع منعك من المغادرة، لكن عليك القيام بترتيباتك الخاصة. حين يحضر أخوك إلى هنا، يمكنك الطلب منه أن يصطحبك معه إذا كان هذا ما تريدين. بعد ذلك الأمر عائد إليه. في هذه الأثناء، ستبقين هنا وستعتادين عليّ.

رفعت رأسها:

ـ حسناً.. شكراً جزيلاً! بعد أن جئت بي إلى هنا بادعاء زائف، فلا أعتقد أنك ستساعدني، أليس كذلك؟ لكنني بالطبع لا أهمية لي عندك.

قال متوتراً:

ـ إذا كنت ترين الأمر هكذا، فلن أجادلك.. لكنني أتمنى أن تصلي إلى استنتاج مختلف قبل أن تغادري.

ضحكت باختصار:

ـ لا أظن هذا محتملاً.

لم يعجبها شيء من كل هذا.. لكنها تدرك أن لا فائدة ترجى إذا استشاطت غضباً.. فهي تعرف أن سايمون لا يمكن التأثير عليه مطلقاً.

فجأة ارتدت عنه:

ـ أنا عائدة إلى.. إلى المنزل.

لم يعترض، بل قال:

ـ دعيني أساعدك على الركوب.

وقبل أن ترفض وضع يديه على خصرها، فوضعت قدمها في الركاب، وقفزت بسرعة مع توتر ظاهر بتأثير لمسته عليها.. سارت أمامه على ضفة البحيرة وأخيراً إلى باحة تسريج الخيل.. لم يقل أي منهما كلمة إلى أن ترجلت. ثم قال لها دون ابتسام:

ـ سأراك في الرابعة والنصف عند بركة السباحة.. وإذا كانت

لديك أفكار أخرى عن مستقبلك فبإمكانك التحدث معي عنها.

لم ترد فينيلا.. وسارت باتجاه المنزل.. في غرفتها رمت القبعة، وأرسلت شعرها، وراحت تنظر بخيبة أمل إلى خديها القرمزيين وعينيها القاتمتين في المرآة، حين دخلت تيفاني عليها وهي تصيح بلهجة اتهام:

ـ لقد عدت إذن! ألم يخطر ببالك أن تتساءلي لماذا يخرج سايمون صباحاً راكباً جواده؟

نظرت إليها فينيلا باستغراب.. فما الذي يكدرها الآن؟ لقد طلب منها سايمون الخروج معه، ففعلت.. وهذا كل ما في الأمر..

وأكملت تيفاني:

ـ واضح أنك لم تفعلي.. إذن حاولي استيعاب هذا.. إنه الوقت الوحيد المتاح له الذي يستغله لربط أفكاره قبل أن يعود إلى الكتابة.. هل كان عليك أن تحشري نفسك وكأنك أهم شيء في حياته؟ أؤكد لك يا عزيزتي أنك مخطئة تماماً.

فكرت فينيلا بغضب، لو نادتها تيفاني مرة أخرى بيا «عزيزتي» فلسوف ترميها بشيء.. وقالت متنهدة:

ـ يا تيفاني.. سايمون «طلب» مني الخروج معه.. لذا توقفي عن التذمر.. إذا لم يكن يريدني هنا فهو يستطيع قول هذا. يمكنه.. يمكنه ترتيب الأمور كي أغادر.

استدارت عنها تبحث في درج عن قميص نظيف.

قالت تيفاني ساخرة:

ـ أنا واثقة أنك توسلت إليه حتى لا يفعل هذا.. المسكينة فينيلا تريفلين، التي كانت تعيش هنا، وحيدة في العالم، وعاطلة عن العمل.. يكاد قلبي ينزف.

خلعت فينيلا قميصها وارتدت واحداً آخر.. لم يكن سهلاً عليها تحمل تهجمات تيفاني المستمرة وإهاناتها فاقترحت بتوتر:

ـ ألا يمكن أن نعقد معاهدة صلح تيفاني؟ صحيح أن لا عمل لي هنا، لكنني بالتأكيد أستطيع أن أساعد.. كبداية، سأحضر الغداء اليوم.. أيمكن ذلك؟

لمعت عينا تيفاني البنيتان بسخرية:

ـ أوه.. هذا نبل منك! تخرجين مباشرة بعد الفطور وتتركينني لترتيب المنزل ولتوجيه جانيت.. ثم تعرضين عليّ ببرودة أعصاب تولي أمر الغداء! نحن هنا لا نتناول الغداء آنسة فينيلا تريفلين.. بيل يتناول غداءه مع تود.. وسايمون يكتفي بالقهوة وسندويشات في مكتبه.. وأنا أفعل ما أشاء.. وأتوي أن يستمر هذا رغماً عنك!

سيطرت فينيلا على أعصابها:

ـ إذن على الأقل دعيني أحضر القهوة والسندويشات.

صاحت تيفاني:

ـ إبقي بعيدة عني فقط، من الصعب عليّ تحمل وجودك هنا.

أصغت إليها عاجزة.. لأجل السماء.. ما الذي تريده تيفاني؟

تابعت تيفاني:

ـ بعد الظهر، حين يظهر سايمون.. اختفي أنت.. ستكون قرب بركة السباحة لتتحدث عن اهتمامات مشتركة لن تفهميها أبداً.

ـ حقاً؟ إذن ليس حديثاً عن..

وصمتت وهي على وشك قول «الحب».. ما الذي دهاها؟

بارتياب سألت تيفاني:

ـ ليس حديثاً عن.. ماذا؟ إذا كنت ستقولين شيئاً عن تربية الأغنام، لا.. فلن نتكلم عن الأغنام.. ليس سايمون مزارع أغنام أكثر مني.. لذا لو كانت لديك أفكار في رأسك السخيف هذا حول الزواج منه والاستقرار في حياة الريف، فبإمكانك نسيان الأمر.. سايمون ينتمي إلى العالم الذي أسكنه أنا. ما إن يزيح هذا الكتاب عن صدره، حتى يعود إلى أديلايد ليستأنف حياته من حيث تركها.. عالم السينما

بحاجة إليه وهو يعرف هذا . أما الآن، فهو يقوم بنوع من استكشاف الذات، وهذا شيء آخر لا تفهميه

تحركت نحو الباب قائلة:

ـ ابقي بعيدة عن الأنظار قدر المستطاع من الآن وصاعداً... أتسمحين؟

واختفت.. فتنهدت فينيلا.. لقد قال لها سايمون إنه سيراها عند بركة السباحة في الرابعة والنصف.. فماذا ستفعل؟ ستذهب إلى هناك بالتأكيد، قررت ذلك بعد دقيقة من التفكير.

* * *

٦ ـ طلب مرفوض

ذهبت إلى حوض السباحة.. وهذا ما فعلته تيفاني أيضاً. وكان سايمون هناك.. يسبح ذهاباً وإياباً على طول الحوض.

سبحت فينيلا كذلك.. حين كانت تعيش في سيدني كانت تقضي كل الوقت الذي تستطيعه على الشاطىء لركوب الأمواج أو السباحة.. هكذا لم تكن في وضع جسدي سيء أبداً. بينما كانت تيفاني نحيلة جداً في ثياب البحر الحريرية.

غادر سايمون الماء أولاً، وكانت عيناه لا تفارقان فينيلا حين خرجت أخيراً لتجلس على حافة الحوض، تتنفس بعمق وتنفض الماء عن شعرها الطويل الكثيف.

قال لها معلقاً، دون أن يحاول إخفاء اهتمامه:

ـ أنت منسابقة تماماً.. أليس كذلك فينيلا؟ لا شك أنك كنت تسبحين كثيراً خلال إقامتك في سيدني.. لطالما كنت تحبين الرياضة. أتذكرين نزهاتنا على الجياد معاً ومرحنا في البحيرة؟

رفعت شعرها إلى الوراء وهي ترجو أن لا يكون قد شاهد الدم يندفع إلى وجهها.. وصمتت متوترة.

ـ هذا كان منذ زمن بعيد.

قطب جبينه ثم ابتسم:

ـ لكنني أذكر كل شيء وكأنه كان بالأمس.

اشتد احمرارها ونظرت بسرعة نحو تيفاني.. لتكتشف أن الفتاة

الأخرى المستلقية فوق العشب تراقبهما بارتياب.. وصاحت بذلك الصوت الذي يذكر دائماً بخلفيتها التمثيلية:

ـ سايمون.. تعال إلى هنا.. لدي مشكلة أريدك أن تساعدني على حلها.

التفت إليها، وبداه على خصره:

ـ أشك في أن أكون مفيداً لك تيفاني.

ـ لكنك يا حبيبي.. تستطيع مساعدتي بالطبع. وكل ما أريده هو أن تقرأ لي جزءاً من هذا السيناريو.

نظر إليها دون تأثر:

ـ لا أريد التورط بأي شيء تلفزيوني، ويجب أن تتقبلي ذلك. لقد عنيت تماماً كلامي حين قلت لك إنني انتهيت منه.

جلست تيفاني تحتضن ركبتيها وتنظر إليه باهتمام:

ـ حبيبي.. أكره أن أسمعك تتكلم هكذا.. إنك كاتب سيناريو لامع، فلماذا لا تتقبل ذلك؟

لم يرد عليها.. جلست فينيلا على حافة البركة لا تعرف ما إذا كانت تريد البقاء أم الذهاب.. لقد أنهت سباحتها الآن وتيفاني تريدها أن تذهب طبعاً، لكن سايمون طلب منها أن تأتي إلى هنا.. ولا شك أن غروره يتزايد لظنه أنه يأسر بسحره أنثيين هما بانتظار كلمة منه.. كانت هذه الفكرة كافية لاتخاذ القرار.. بعد لحظتين، كانت تتجه نحو الأشجار التي تفصل البركة عن المنزل.

في غرفتها خلعت ثوب السباحة واستعدت لدخول الحمام وتساءلت وهي تتوجه إليه عما إذا كانت تيفاني ستطلب منها مساعدتها في أعمال المطبخ ذلك المساء.

في الواقع كانت تيفاني سعيدة عندما رأت فينيلا في المطبخ وتركتها وحدها:

ـ أوه.. أنت ستحضرين العشاء.. أليس كذلك؟

واختفت قبل أن ترد فينيلا.

طهت فينيلا شرائح لحم الحمل في الفرن، مع الأعشاب المعطرة والطماطم، البطاطس المهروسة مع الزبدة، وكذلك قالب حلوى بالبرتقال.. عشاء بسيط أثنى عليه فيما بعد سايمون وبيل، بينما تركت تيفاني نصف طعامها في الطبق. وبعد العشاء مباشرة كانت فينيلا أول من اختفى، خرجت بسرعة إلى الحديقة حيث اتجهت دون وعي إلى بستان البرتقال حيث كانت الأشجار مزهرة وكان الجو عابقاً برائحتها.. وهي تقف بينها، أدركت كم تذكرها وبشكل شديد ومؤلم بالماضي. كم كانت في السابق صغيرة وساذجة! مع ذلك، هل هي الآن أفضل حالاً؟ سرعان ما تصبح أسيرة عاجزة كما كانت يومها.. مع أنها تعرف الآن أن انجذابها نحوه ليس سوى انجذاب جسدي.. ولهذا عليها أن ترحل.. وفي أسرع وقت ممكن.

حدقت في السماء، كانت بضع سحب تتحرك كالأشباح فتجعل النجوم أكبر وأكثر لمعاناً.. وأجفلها دفء يدين على كتفيها، فاستدارت، الأنفاس عالقة في حلقها فيما كانت عينا سايمون تنظران في عينيها، وأحست بالدم يجري بجنون في شرايينها.

سأل بصوت منخفض:

ـ لماذا هربت فينيلا.. لم أكد أراك اليوم؟

ابتلعت ريقها، وحاولت جمع شتات أحاسيسها:

ـ لم أعتقد أنك تريد رؤيتي.. ليلة أمس كنت..

ـ ليلة أمس كنت مضطراً للتفكير.

ببطء شدها إليه ولف ذراعيه حولها.. كان وجهه الضبابي ببريق النجوم قريباً من وجهها، عيناه كظلال قاتمة، وأحست به في أعماق كيانها.. وقالت لنفسها.. لا.. ووضعت يديها على صدره ودفعته بقوة.

ـ لقد قلت لك هذا الصباح كل ما أريد قوله بالنسبة لبقائي هنا.

ـ هنا؟ بين ذراعي؟ تجاوبك يقول لي كل ما أريد أن أعرفه فينيلا حين أضمك هكذا قريباً مني..

سمعت صوت أنفاسها اللاهثة:

ـ إنه.. إنه لا يقول لك شيئاً.

دفعته بقوة أكبر:

ـ أنت.. أنت لا تخدعني سايمون.. أنا أعرفك جيداً.. كل ما أريده هو أن أخرج من هنا في أسرع وقت ممكن، ولن أغيّر رأيي.

ـ ولا أنا سأغير رأيي.. أنا أريدك هنا.

شدها إليه بسرعة، فسرت قشعريرة إلى عمق كيانها، وأخذ قلبها يخفق بجنون.

قال وأنفاسه تلامس جبهتها:

ـ أرأيت؟ تجاوبك صادق كما كان يوم كنت في السابعة عشرة.

حاولت الاحتجاج لكن عطر زهر الليمون، الجميل الحميم، بدا وكأنه يؤثر عليها، ولم تعد تقاوم.

اقتحم وقع أقدام تهشّم أوراق الشجر الجافة، فجأة وعيها.. فقاومته مرتجفة خجلى. وبطريقة ما ابتعدت هي وسايمون عن بعضيهما قبل أن تظهر تيفاني.

ـ إذن هذا ما تفعله! كنت أبحث عنك سايمون.. هناك شخص على الهاتف يريد التكلم معك.. إنها امرأة تتصل من سيدتي.

شتم سايمون همساً:

ـ لماذا لم تدعي بيل ينادني؟

ومر أمامها متجهاً إلى المنزل.

وقفت فينيلا ترتجف.. تحس بالسخط كما أحست به تلك الليلة حين قاطعتهما أمها.. كانت أكثر سخطاً من أن تلقي بالاً لتيفاني، ودفعت شعرها عن عنقها وفتشت عن دبابيس لتثبيته في مكانه.. توجهت نحو المنزل لكن تيفاني أمسكتها من ذراعها، فانغرزت أظافرها

الطويلة في لحمها.. وقالت تهمس كالأفعى:

ـ ألم أنصحك بأن تدعي سايمون وشأنه؟

وقفت فينيلا جامدة ثم دفعت يد تيفاني عنها بعنف.

ـ قلت لي الكلام نفسه عدة مرات.. لكن من الأفضل لك أن تطلبي من سايمون أن يدعني وشأني إذا كان هذا ما تريدينه.. أنا لم ألحق به إلى هنا وتعرفين هذا.

وابتعدت مسرعة دون أن تسمع الجواب. ما إن أصبحت داخل المنزل حتى اتجهت فوراً إلى غرفتها وأقفلت الباب وراءها. رمت بنفسها محطمة فوق السرير، وانتابها إحساس عميق أنها فقدت السيطرة على حياتها.

لم تكن تدري كم من الوقت ظل سايمون يقرع الباب قبل أن تسمع صوته:

ـ هل أنت هنا فينيلا؟

لم ترد.. بل دفنت وجهها في الفراش تحاول جهدها أن لا تبكي ثم جلست تراقب الباب خائفة.. بعد لحظة انفتح ووقف سايمون هناك.. القميص الأسود الذي يرتديه مفتوح الأزرار حتى منتصف صدره، عيناه تتوهجان كالنار وهو يرى وجهها الشاحب، والشعر الأسود المنتشر بجنون حوله.. عبر الغرفة بسرعة، فقفزت واقفة؛ تحدق به غاضبة وتسأل مرتجفة:

ـ ماذا تريد الآن؟

ـ فينيلا.. لا تنظري إليّ هكذا.. أنا لا يمكن أن أؤذي شعرة من رأسك.

قاطعته:

ـ ولن تكون لديك الفرصة لذلك.. سأبقى بعيدة عن الحديقة في المستقبل.

ارتسمت ابتسامة خفيفة عند طرفي فمه؛ ثم تلاشت:

ـ هناك قفل على باب غرفتك.. لكنني في الجهة الخاطئة منه.

ـ أستطيع أن أصيح.

بصمت تقدم نحوها:

ـ لست بحاجة للصياح.. أنا لن ألمسك.

ابتلعت ريقها بصعوبة:

ـ إذن.. إذن.. ما تريد؟

ـ وماذا أريد غيرك؟

اتسعت عيناها.. وتنفست بحدة: ماذا تعني؟

ـ تعرفين ما أعني، أريدك كما تريدينني، لم يتغير شيء.. لقد كان الحال هكذا بيننا منذ التقينا قبل أربع سنوات، ألا تذكرين؟ كان الوقت متأخراً بعد الظهر.. وقت الغروب صعدت عتبات الشرفة مع والدك وكنت تقفين هناك.. ينطلون جينز أبيض وسترة زرقاء فاتحة، وتطريز «كروشيه» حول الياقة.. تطريز صنعته بنفسك كما قلت لي فيما بعد. بدوت فاتنة ولم أستطع إبعاد نظري عنك. اصطحبتني أمك إلى الداخل لترشدني إلى غرفتي.. الغرفة التي أنام فيها الآن.. قرميت أغراضي وعدت بسرعة إليك.. تحدث إليّ والداك، لكن ما كنت أفكر فيه هو متى سنكون وحدنا حتى نتحدث ونتسامر ونتعارف! ظننتك في الثامنة عشرة أو في التاسعة عشرة، إلى أن فهمت مما قالته أمك أنك في السابعة عشرة ولا زلت في المدرسة.

صمت قليلاً، وطافت عيناه في وجهها.. كانت شاحبة متوترة مما كان يقوله يؤلمها، بل كان قلبها يتمزق مع كل كلمة يقولها.. وكيف تنسى كل هذا؟! لقد كان لقاؤها الأول معه مؤثراً وعميقاً خصوصاً بالنسبة لمراهقة رومانسية.. مع أنها تعرف أن الأمر لم يكن هكذا له حينها.. ولو كان كما قال لما استطاع صدها كما فعل، ولما جرح كرامتها وأذلها.. وربما دونما وعي منه..

في أعماق تفكيرها، كانت تعرف أنها تتعمّد حساب الأمور بشكل

خاطىء، وأنها تغش لتصل إلى الحل المطلوب.

قالت بسرعة:

ـ لا جدوى من نبش الماضي الذي لم يؤثر فيّ كثيراً كما تعتقد.. أعرف أن هذا قد لا يعجبك، لكنني سبق وقلت لك هذا.. على أي حال، وكما أشرت أنت، كنت مجرد مراهقة حين التقينا. وكنت أنت كبيراً كثيراً.. والواقع عادة لا يتطابق مع ما تشاهده على الشاشة.

بيدين غير ثابتتين راحت تدفع شعرها عن وجهها، تفتش فوق السرير عن دبابيس.. أي شيء تفعله لتبعد نظرها عن عينيه.. تحرك فجأة وأبعد يديها عن شعرها.

ـ دعيه هكذا فينيلا! إن شعرك جميل وهو مخلوق ليبقى منسدلاً.

ابتعدت عنه:

ـ لا تلمسني.. كيف يمكنني التفكير وأنت تقف هنا تهددني؟

ـ أنا لا أهددك بشيء.. أحاول فقط تجاوز هذا السد الذي أقمته بيننا.. أحاول التواصل معك كما كنا نتواصل معاً فيما مضى.

اتسعت عيناها دهشة، لكنها من الداخل كانت ترتجف:

ـ وهل كنا هكذا؟ لا أذكر أننا تواصلنا يوماً بشكل جيد.

ـ أنت الأكثر عناداً من بين الفتيات اللواتي عرفتهن في حياتي.. لماذا أنت متوترة هكذا؟!

رفرفت عينيها وابتلعت ريقها:

ـ وهل أنا متوترة؟ لم أكن أعي هذا.. ربما كانت المشكلة في أنك معتاد على وقوع فتيات مثلي في حبك.. أنا.. أنا قد أكون فقدت عقلي مرة أو مرتين، لكنني أؤكد لك أنني لا زلت قادرة على التفكير السوي حين أكون مضطرة لذلك.

ـ أتحاولين القول إنّ عقلك يحكم قلبك؟ أعجب ماذا ستقولين لي لو طلبت منك الزواج بي!

كادت فينيلا تقع على الأرض مغشياً عليها. سايمون ماكسويل

يطلب منها الزواج به! وتجمدت أفكارها فجأة.. هذا غير صحيح.. لم يطلب منها الزواج به أبداً.. لقد قال: «لو طلبت منك الزواج بي» لكن ماذا يعني قوله هذا بالضبط؟ لا شيء.. إنها ليست غبية لتقع في هذا الفخ.

أخذت نفساً عميقاً.. وقالت ببرود:

ـ «لو» أنك طلبت مني، فسأقول لك «لا».. لقد سبق وقلت لك إنني أريد الذهاب إلى وايت كليفز.. لكنك لا تهتم بما أريد.. أليس كذلك؟ أنت.. أنت.. كل ما تريده هو التلاعب بي لتتسلى.

رد ببطء:

ـ بدأت أؤمن أنك بالفعل مشوشة الذهن.. وأعجب لماذا؟

أجفلت وأسبلت رموشها دفاعاً.. إذا كانت مشوشة الذهن فهذه غلطته، وتمنت لو يرحل عنها ويتركها بسلام.. وقالت بصوت لا يكاد يُسمع:

ـ اتركني وحدي فقط.. أنا لست مشوشة.. فأنا أعرف بالضبط ما أريد.. وأنا أفضل حالاً من دون تدخلك.

رأت صدره يعلو ويهبط عدة مرات وهو يتنفس بعمق.. ثم قال بحدة:

ـ حسن جداً.. إنسي الأمر كله.. أنا لا أطلب منك الزواج، وبإمكانك القرار مذعورة إلى حبيبك الملتحي إذا كان هذا ما تظنين أنك تريدينه.. ماذا يعرض عليك؟ هل يعرض الزواج؟ أم علاقة حرة لا ارتباط فيها؟ بصراحة أراهن أنك ستتمكنين في وقت قريب جداً من العودة إلى هنا.

والتوى فمه بابتسامة ماكرة.

كادت فينيلا تنفجر بالبكاء، سترتاح كثيراً لو رمت نفسها على السرير واستسلمت للدموع. لكن لو فعلت هذا لكانت ردة فعل سايمون هي نفسها.. سوف يأخذها بين ذراعيه، ويقول لها أشياء

لطيفة عاطفية، ولسوف تتعلق به، وتستجيب له.

تمكنت أخيراً أن تقول:

ـ هل.. انتهيت تماماً؟

رد بخشونة:

ـ على وشك أن أنتهي.. حين يأتي أخوك إلى هنا بإمكانك إقناعه باصطحابك إلى وايت كليفز.. فهذا ما ترغبين فيه ولسوف تحصلين عليه.

ردت نظرته بنظرة أكثر حدة، وكبحت دموعها، وقالت ورأسها مرفوع:

ـ هذا حقاً ما أرغب فيه. أما ما لا أريده فهو أن أُجبر على البقاء هنا، بينما.. بينما تسلي نفسك بمحاولة إغوائي كلما نظرت إليك!

أطلق شتيمة متخفضة ساخطة:

ـ أنت غير ناضجة. كنت أتصورك قد كبرت قليلاً.. لكنني كنت مخطئاً. من الأفضل أن تنامي الآن، سأراك في الصباح.

نظر إليها لحظة ثم وهي تحضر نفسها لشن هجوم كلامي آخر.. استدار خارجاً من الغرفة.

استرخت فينيلا على حافة السرير.. كانت ترتجف وتشعر بحيرة أكثر من ذي قبل.. وبأسى خطر ببالها أنه على حق.. لقد قال إنها غير ناضجة، وهي هكذا. تعرف في قرارة قلبها أنها منجذبة نحوه بعمق، ولا تعرف كيف تتعامل مع هذا الواقع.. كان انتجارها الكلامي منذ لحظات طفولياً.. لكنه هو الذي أثارها.. وكرهته لأنه سخر منها.. إنها تكره، كل شعرة في رأسه، كل إنش وسنتيم لا يقاوم منه.. لكنها تعرف بألم أن لا شيء من هذا صحيح.. أدخلت يدها تحت الوسادة. وأخرجت ثياب النوم.. فكلما أسرعت إلى النوم فراراً من الواقع كان هذا أفضل لها.

كانت باردة متحفظة وقت الفطور في الصباح التالي لكنها حرصت

على أن تكون هناك في الوقت المحدد حتى لا يعتقد سايمون أنها حردانة.. حتى أنها ساعدت تيفاني في المطبخ مع أنها لم تقل في المقابل أي كلمة شكر.. وأكلت جيداً فقد كانت جائعة.. لقد فكرت جيداً ساعة استيقظت وقررت أن تكون ناضجة كما تريد هي.

وفيما هو ينهض مقادراً المائدة، سألها سايمون بنشاط أو بتحد:

ـ ما رأيك بالخروج معي هذا الصباح فينيلا؟

قالت متعللة:

ـ لدي خطط أخرى.. لماذا لا تسأل تيفاني؟

قالت تيفاني غاضبة:

ـ أنا لا أعرف ركوب الخيل.

رد سايمون دونما اكتراث: كما تشائين.

لم تكن فينيلا سعيدة عندما عادت إلى غرفتها، حيث رتبتها ثم حاولت التفكير بخطة ما ليومها.

قررت أن تسير مسافة نصف ميل إلى كوخ مدير المزرعة حتى تتصادق مع زوجته.. لكن تيفاني دخلت الغرفة بصمت واستندت إلى الجدار قرب باب الشرفة، تحدق بها بعدوانية وكراهية.. وتاقت فينيلا لأن تقول لها: «اذهبي من هنا» لكنها لم تفعل حتى إنها لم تسألها ماذا تريد. يبدو أن تيفاني تحاول إفهامها أن هذا ليس منزلها ولا شيء لها هنا أبداً.. تابعت فينيلا ما كانت تفعله وأخذت ترتب طاولة الزينة، وأثناء ذلك وجدت نفسها تقلي سخطاً.. فهذه غرفتها.. الغرفة التي نامت فيها سنوات عديدة.. وليست هي المتطفلة على المنزل.. بل تيفاني هي المتطفلة.

أخيراً أحضرت فينيلا قبعتها واعتمرتها، ثم تقدمت إلى الباب توقفت وسألت ببرود:

ـ هل كنت تريدين شيئاً؟ أم جئت لتراقبيني فقط؟

قالت تيفاني بصوت بارد كالموت ومليء بالحقد:

ـ جئت فقط لأحذرك من محاولة التآمر عليّ مرة أخرى.

ـ أتآمر عليك؟ ماذا.. ماذا تعنين؟

ـ قلتِ لسايمون أن يخرج معي مع أنني لا أعرف ركوب الخيل.. حتى ولو كنت أعرف.. فلن أذهب.. إنه لا يريد صحبة أحد.

استجمعت فينيلا أعصابها:

ـ ألا يريد ذلك؟ أظن أن هذا أمر يقرره بنفسه.. إذا كان يريد صحبتي فهذا أ ر لا دخل لك فيه.

صاحت تيفاني:

ـ هذا ما تظنينه أنت.. ماذا ستفعلين هذا الصباح إذن؟

نظرت إليها فينيلا وهي تفكر:

ـ هل ترغبين في أن أري جانيت وأنفذ المهام لهذا اليوم؟ إذا كنت لا تريدين ذلك.. فبإمكاني التفكير بأشياء أخرى. كنت أعيش هنا، وتعرفين هذا.. وأعرف الأملاك جيداً.

ردت ساخرة:

ـ أنت ترغبين بالعودة للعيش هنا، أليس كذلك؟ حسن جداً.. لقد قلت لك إن سايمون يقيم هنا مؤقتاً فقط، فالريف الناي ليس مسرحه المفضل.

ردت فينيلا متهورة:

ـ إذن لو طلب مني الزواج فعليّ أن أنسى الإقامة في بايترزهيل.. أليس كذلك؟

ضحكت تيفاني بخبث:

ـ ما الذي يجعلك تظنين أنه سيطلب منك الزواج منه؟ اسألي الجميع هنا من يعتقد أن سايمون سيتزوج.. اسألي جانيت.. اسألي بل.. أو باتي مارشال، وستعرفين أنها ليست أنت من سيتزوجها.. أتظنين أنه إذا كان يعبث معك، فستكونين تجمة الاستعراض.. حسناً.. أنا آسفة، أنت لن تكوني هكذا.. أنا أعرف سايمون تماماً..

وأعرف كيف يعمل دماغه.. أنت لست سوى طفلة سخيفة.. وأنا أشفق عليك حقاً.

ردت فينيلا بحدة:

ـ لا داعي لإشفاقك.. وإذا كنت تودين معرفة رأيي.. أنا التي أحس بالإشفاق عليك.

عادت إلى طاولة الزينة فأخذت نظارات الشمس، ثم خرجت من باب الشرفة.. لا شك أنها تتصرف كطفلة مدللة، لكنها لا تأبه لذلك.. كانت منزعجة من جدالها مع تيفاني، وكانت رغماً عنها تعتقد أنها أصبحت مهمة في حياة سايمون، وها هي الآن تعود إلى حجمها الطبيعي.. طفلة حين يصل الأمر إلى مسألة فهم الرجال.. كانت تظن أنها تدرك ما يفعله سايمون، أنه يدفع تيفاني عنه.. لكنها الآن مشوشة تماماً.. فقد بدت تيفاني واثقة من نفسها، وكان لدى فينيلا إحساس مزعج بأنها تجعل من نفسها حمقاء مرة أخرى.

اكتشفت أنها مرت مسرعة عبر الحديقة، وأنها الآن تركض فوق الممر الترابي الموصل إلى كوخ المدير.. ستقدم نفسها إلى باتي مارشال، زوجة تود.. وستكتشف بسرعة ما إذا كان ما قالته تيفاني صحيحاً.. أوه.. كم تكره الرجال الوسيمين!

دون وعي منها فكرت بسام. هو ليس وسيماً.. ويمكن الثقة به.. تعرف أنه سيحافظ على وعده ويأتي إلى بايترزهيل ليراها.. ربما تقرر أن تتزوجه وتقنعه بالاستقرار في مكان ما.. أو حتى أن يمتلك ملجأ يؤثثه أثاثاً لائقاً.. وقد تكون حياة جيدة.. و.. أوه.. قد يحل هذا مشاكل كثيرة.

فجأة، وبقرف، تخلت عن هذا الخيال.. تعرف جيداً أنها لن تتزوج سام أبداً.. حتى ولو طلب منها.. وتعرف السبب.. إنها تغار بيأس من تيفاني.. وسبب كل هذا أنها اعتادت بغباء على سايمون ماكسويل، وليس الأمر مضحكاً.

***

٧ ـ إنه رجلي!

بعد ذلك اليوم واظبت فينيلا على الانزواء بعيداً، مما أبهج تيفاني دون شك.. صادقت باتي واكتشفت أن الجميع يتقبل فكرة زواج سايمون من تيفاني، وعرفت من باتي كذلك أن سبب ترك مديرة المنزل لعملها أنها وتيفاني لم تتفقا.. وهذا لم يكن مفاجئاً، لكن المفاجأة كانت في اسم مديرة المنزل.. إنها السيدة ساوث وهي من دون شك والدة كاري، المرأة التي كان سايمون يحاول أن يجدها في كوبيدي.. لكن لماذا؟ أكان يريدها أن تعود إلى بايترزهيل؟

لكنها لم تسأله، فهي كانت تبتعد عن طريقه قدر استطاعتها. وكذلك ابتعدت عن طريق تيفاني.. كانت تقضي جزءاً من أيامها مع باتي وطفليها الصغيرين، وفي أوقات أخرى تخرج لركوب الخيل، أو تسير على قدميها. واستعارت مرة دراجة نارية بإذن من باتي، وخرجت تبحث عن المكان الذي وجد فيه والدها الحجر الأسود ولم تجد صعوبة في الوصول إلى موقعه، مع أنها لم تجد شيئاً فقد تمتعت بالنزهة لولا أن سايمون وجّه إليها بعض الملاحظات حين عادت.

ـ لا أحب أن تركبي دراجة نارية فينيلا.. فهناك الكثير من الحوادث تحصل.

هزت كتفيها:

ـ كان والدي يسمح لي بركوبها حين كنا نعيش هنا.

ـ حسناً.. أنا لن أسمح لك وأنت ضيفتي.. إذا أردت الذهاب إلى

أي مكان اعلميني بذلك، وسأصطحبك بنفسي في السيارة.

ـ أنا قادرة تماماً على أن أقود بنفسي.. أم أنني أعيش تحت.. تحت سلطة ذكر متخلف متعصب؟

ـ إذا كنت ترغبين في الظن بي هكذا.. على أي حال، لن تذهبي للتسكع في هذه الأملاك دون إعلام أحد إلى أين ستذهبين.

قالت ساخرة:

ـ لا شك أن الزمان يعود القهقرى هنا، أم أن تحرر النساء اختفى من هذا الجزء من الريف النائي منذ نوليت أنت أمره؟

قال من بين أسنانه:

ـ بالنسبة إليك.. هذا صحيح.

وانتهى الجدال، إذا كان هذا يدعى جدالاً.. وتمتمت من بين أنفاسها وهي تتحرك باتجاه غرفتها: لن أكون آسفة أبداً عندما أبتعد عن مملكتك الصغيرة سايمون ماكسويل!

في هذه الأثناء تابعت تيفاني القيام بالترتيبات المنزلية مع جانيت.. وبقيت فينيلا بعيدة عن المطبخ، إلا إذا طلبت منها الفتاة الأخرى أن تساعدها، الأمر الذي كانت تطلبه بين حين وآخر بطريقة ديكتاتورية، وكأن فينيلا موظفة وضيعة لا رأي لها.

في أوقات بعد الظهر كانت تنضم إلى سايمون وتيفاني، وأحياناً بيل، للسباحة أو للعب تنس.. لكن فقط لأن سايمون كان يصرّ على هذا.. ساعات بعد العشاء كانت أسوأ بكثير.. فهي كانت لا تنوي أبداً ترك نفسها عرضة لأي نوع من اللقاء وجهاً لوجه مع سايمون.. وهذا يعني أن لا نزهات في الحديقة، ولا جلود إلى غرفتها باكراً.

جاء يوم الأحد وولى دون أثر لجيف وسام.. ثم، يوم الجمعة، في نهاية أسبوع مر متوتراً.. ظهر سام.

كان سايمون في مكتبه يعمل.. بعد الغداء، سارت فينيلا إلى البحيرة تحس بضيق غير عادي.. العلاقة بينها وبين سايمون وصلت

إلى حائط مسدود كما يبدو.. وكانت تبحث ما إذا كان يجب عليها أن تسأل باتي لإيصالها إلى بروكن هيل، عندما سمعت وقع أقدام على الطريق الترابية، فرفعت رأسها لترى سام يتقدم نحوها.

قفز قلبها.. فقد بدا دافئاً، مألوفاً، وإنسانياً..

ركضت باتجاهه، ترمي ذراعيها حوله، تصيح بغبطة:

ـ سام! رائع أن أراك! أين جيف؟

ـ لا زال ينقب في وايت كليفز.. لم أستطع إقناعه بأن يأتي معي.. وقد يأتي بعد أيام. كيف تجري الأمور معك؟

تراجع قليلاً لينظر إليها، والإعجاب في عينيه البنيتين وعما تطوفان على جسدها النحيل بالجينز الأزرق الفاتح والقميص العاجي، وشعرها المشعث قليلاً، ووجهها المحمر إثارة.

نظرت إليه فينيلا بفضول.. كان يذكرها بوالدها، مربع الكتفين ملىء العضلات، وواقعي، رجل عنيد في رجولته مثل سايمون.. مع ذلك ينقصه سحره.

قالت:

ـ الأمور جيدة.. لكن.. أوه، رائع أن أراك! ظننتك لن تأتي أبداً.

ابتسم:

ـ كلماتك كالموسيقى في أذنيّ. هل اشتقت إليّ؟ أين الأولاد؟ ظننتهم هنا معك؟

احتارت لحظة، ثم أجرجت.

ـ ليس هناك أولاد.. حين قابلوني في بروكن هيل، قالوا لي إن كل شيء تغير.. الولدان سافرا إلى «أديلايد».

رفع حاجبيه تعجباً:

ـ يا للسماء! إذن ماذا تفعلين هنا؟ لماذا لم تأتي إلى وايت كليفز؟ تعرفين أن هذا ما كنت أريده منذ البداية..

وطافت نظراته عليها مرة أخرى، نظرات لها معنى.

أطرقت برأسها، وركلت الرمل الأحمر بقدمها:

ـ صحيح.. لكن فات الوقت، كنتما قد رحلتما وأنا.. لم أعِ الموقف تماماً إلى أن وصلت إلى هنا. كيف عرفت مكاني؟

ـ ذهبت إلى المنزل، ورأيت فتاة نحيلة بشعر مجعد، قالت لي إنك هنا قرب البحيرة.

ـ أوه.. إنها تيفاني.. ماذا قلت لها؟

ـ لم أقل الشيء الكثير، قلت لها إنني أبحث عن مربية الأطفال.. ولم تقل لي إنك لا تعملين، بل أرشدتني إلى مكانك، وكانت متعاونة جداً.. هناك شيء فيها يذكرني بشيء آخر.. من هي بالضبط؟

ـ تيفاني لايتون.. قد تكون شاهدتها في التلفزيون. إنها تقضي إجازتها هنا بينما تدرس شخصية جديدة.

ظهور سام الآن من المفترض أن يكون ما تنتظره.. وهذه فرصتها الكبيرة للمغادرة.. لكنها تعرف، وبكل تأكيد، أنها لن تفعل هذا لو استطاعت أن تتهرب.. وهذا يعني أن سام يجب أن يبتعد عن الأنظار قبل أن تتاح الفرصة لسايمون للكلام معه..

قال سام:

ـ المكان قريب هنا.

وأجفلها كلام سام:

ـ أنت لست مضطرة للبقاء، أليس كذلك؟ ما رأيك بالذهاب معي لنقيم مخيماً؟

تطلع حوله في الأرض، ثم نظر إليها وهي تستند إلى جذع شجرة.. فسألته بقلق:

ـ نخيّم؟ أتعني في وايت كليفز؟

قال ضاحكاً:

ـ لا.. هنا في بايتررزهيل.. أريتي فقط المكان الذي اعتقد والدك

أن فيه ذلك الاوبال.. وسنقيم هناك مخيماً، ونلقي نظرة حولنا.. أرجو أن لا تكوني قد نسيت مكانه.

ـ أوه لا.. أذكره جيداً. لقد ذهبت إلى هناك منذ أيام. لا يوجد سوى تلة قديمة منهارة، بعض الأشجار، والأشواك، وكل تلك الحجارة والحصى الصغيرة على الأرض. ليس هناك خراف في ذلك الحقل بالذات.. فالأرض لا تنفع لشيء، هذا ما كان يقوله أبي دائماً.

ـ حسن.. سيناسبني هذا.. فلا أريد أن يأتي أحد ليسألني ماذا أفعل هناك.. فليس معي ترخيص بالتنقيب.. لكنني فكرت أن ألقي نظرة لأرى ما إذا كان المكان يستأهل التعب.

سألت بقلق:

ـ ماذا تعني بالترخيص؟

هز كتفيه:

ـ قبل البدء في حفر موقع تنقيب، تحتاجين إلى ترخيص من دائرة التنقيب والمناجم.. قد لا أطالب بحق التنقيب، لكن بعض ملاّك الأراضي يصبحون عدائيين جداً، لو صادفوك على أرضهم.. ماذا برأيك سيكون التصرف الأفضل هنا؟ هل كوني صديقاً لك يمنحني موطىء قدم هنا؟

عضت شفتها.. في قلب سايمون شيء على سام.. وسيرفض على الأرجح بقاءه في أملاكه.. وقد يصرّ عليها أن تذهب معه إلى وايت كليفز.

قالت:

ـ أعتقد أن من الأفضل الابتعاد عن سايمون ماكسويل.. فكونك صديقاً لي لن يساعدك.. حتى ولو كان معك ترخيص، لا أظنه يريدك هنا.. ومن الأفضل أن تنسى الأمر كله.. على أي حال قد لا يكون هناك أوبال أبداً.

كشّر:

ـ لم أقطع كل هذه الطريق من دون طائل فينيلا. . ولن أعود إلى وايت كليفز لمجرد أن ماكسويل هذا رجل صعب المراس. . البحث عن الأوبال وسيلة عيشي وسأبقى بضعة ليال على الأقل. . لكن، لو عدت معي إلى وايت كليفز، فلا بأس، سنرحل من هنا في أسرع وقت تشائين. . ما رأيك؟

ارتبكت، وحاولت أن تشرح له:

ـ لا. . لا أستطيع هذا. . أنت تعرف أنني أريد جلب جيف إلى هنا ليعمل. . ولن أكون قادرة على مساعدته لو غادرت. لا سيما إذا كان سيحضر بعد أيام. . على أي حال، لماذا لا نذهب لنرى المكان؟ بعدها نقرر ماذا سنفعل.

ضاقت عيناه:

ـ حسن جداً. . سنفعل هذا كبداية. . هل أنت بحاجة لاستئذان أحد؟

ـ لا. . طالما تعيدني قبل الرابعة والنصف.

سأل بارتياب:

ـ وماذا يحدث في هذا الوقت؟

ردت كاذبة:

ـ يجب أن أحضّر العشاء. . أنا لم أشرح لك، إنهم الآن يحتاجون مديرة منزل، مؤقتاً.

صفّر بصوت منخفض:

ـ أرجو أن تكوني جيدة كطاهية كما أنت كمربية.

لم ترد. . فقد كانت مشغولة بالنظر إلى الأمام بحثاً عن أي أثر لسايمون، لكنها لم تجد شيئاً. . استقلا سيارته المغبرة الموحلة القديمة. . تساءلت فينيلا عما إذا كانت تيقاني تراقبهما. . لكن لماذا تهتم؟ فما تفعله، ومع من، أمر يخصها وحدها.

وتولت إرشاد سام إلى الطريق الصحيح. . أحست باشتياق لرؤية

أغنام «الميرينوس» الإسبانية الأصل، البيضاء، ورؤوسها إلى الأسفل ترعى. . لكنها أحست بعقدة الذنب حين لمحت مصنعاً لإنتاج الألبان مسوّراً، ورجلين يثيابان العمل قرب مستوعب ماء يتفحصان المضخة. . ولم يكن الاثنان سوى بيل وتود مارشال، الذي التقته عدة مرات خلال زيارتها لباتي. . واستدار الرجلان لرؤية سيارة سام تقفز فوق الطريق الزراعية.

قالت لسام:

ـ لا تتوقف. . إنه المدير، ولا تريدهما أن يطرحا الأسئلة. . أليس كذلك؟

نظر سام إليها ضاحكاً:

ـ وراعي الغنم. . هه؟ وعدتني أن لا تقعي في حب أحدهم. . ألم تفعلي؟ أرجو أن تكوني حافظت على وعدك.

ـ هذا غير معقول! لبيل زوجة وولدان.

ـ عظيم. . فلا أحتمل حبك له. . وتعرفين هذا. . أليس كذلك؟

وهل تعرف؟ أحست بقلبها يخفق قليلاً. . بكل تأكيد لن يكون سام جاداً! فهذا آخر شيء تريده. . وهي واثقة جداً أنها لم تشجعه أبداً.

بدأت تتكلم بسرعة، كشكل من أشكال التكتيك الدفاعي. . لم تتكلم عما يحدث في حياتها الآن، بل تحدثت عن الماضي حين كانت وجيف يعيشان هنا. . كانت لا تزال تتكلم حين وصلا إلى المرعى، حيث وجد والدها الحجر الأسود الشبيه بالأوبال.

توقف سام في الظل، وتركا السيارة متجهين إلى سفح التل. . وقالت:

ـ لم أجد شيئاً يشابه من قريب أو بعيد الاوبال حين جئت إلى هنا منذ أيام.

ـ وهل جاء أحد معك؟

كانت عيناه مثبتتين على الأرض وهو يسير، وهذه عادة تعرفها منذ

التقيا في كوبربيدي، فأي شيء يلمع يستحق أن يفحص.. وأجابت:

ـ لا.. فأنا لم أبق طويلاً بما يكفي لأجد شيئاً، ولا أعرف ما يكفي على أي حال.

توقف سام، التقط حجراً وراح يتفحصه بدقة:

ـ هل هناك ماء هنا؟

ـ لا أعرف.. قلت لك إن أبي لم يكن يأتي بالخراف إلى هنا.. وستعاتي من نقص المياه لو خيمت هنا سام.

ـ جئت معي بماء يكفي لثلاثة أو أربعة أيام.. وافترضت أن بإمكاني المجيء إلى المنزل لتعبئة الماء إذا لم أجده في مكان آخر. هل هناك مانع؟

ـ لا أعتقد.

ـ على أي حال، ما رأيك بقضاء اليوم معي غداً؟ أنت لست موظفة هنا.. صحيح؟

ـ صحيح لكن.. من المربك المجيء إلى هنا إذا كان من المفترض أن لا تخيّم.

ـ وهل من المفترض غير ذلك؟ لا داعي لأن نقول لأحد ماذا سنفعل.. لو أنك جئت إلى هنا من قبل وحدك، فبإمكانك المجيء مرة أخرى.

ـ لقد استعرت دراجة نارية.. ولا يريدني سايمون أن أفعل هذا مجدداً.

ـ ألست أنا أكثر أهمية من سايمون.. كائناً من يكون؟

رمى الحجر الذي التقطه فجأة وأمسك بذراعها، فسألت:

ـ ماذا.. ماذا تعني؟

ـ ظننتك مسرورة لرؤيتي الآن.

ـ أجل.. لكن..

قبل أن تكمل، أحست بأنفاسها تكاد تزهق وهو يشدها بين

ذراعيه. شهقت وبدأت تقاوم.. أرادت أن تصرخ بأعلى صوتها لكن لم يتوفر لها ما يكفي من أنفاس لتفعل.. وما الفائدة؟ هنا في هذا المرعى لن يسمعها أحد؟

صاحت بصمت: سايمون.. سايمون! وحررت نفسها منه، صدرها يعلو ويهبط بسرعة.. لقد دعا سايمون سام بالجلف القذر، لكنها أحست بالراحة معه لأنه يذكرها.. بوالدها! لكنها الآن لم تعد تعرف ماذا تتوقع منه.

سأل بغضب:

ـ حسناً.. ألست راغبة؟ أم أنك تلعبين دور صعبة المنال؟

هزت رأسها غير قادرة على النظر إليه:

ـ آسفة سام.. أنا لا ألعب دور صعبة المنال.. أنت تعجبني.. لكن.. لكن ليس بهذه الطريقة..

ضاقت عيناه.. وسأل:

ـ هل هناك شخص آخر؟

ابتلعت ريقها: أجل.

ـ من؟ شخص هنا في بايترزهيل؟

هزت رأسها.. فلا جدوى من إخفاء الأمر.

ـ إذن لهذا تقيمين هنا.. ولا دخل للوظيفة ولا للطبخ ولا لشيء آخر، فمن هو؟

عضت شفتها..

ـ أفضل.. أن لا أقول سام.. لا فائدة من القول على أي حال.

ـ إنه متزوج على ما أعتقد.

هزت رأسها نفياً:

ـ إنه فقط لا يشعر بشيء نحوي.

تغيرت تعابير وجهه: ألم يغازلك؟

ردت بصوت منخفض: لا..

وعرفت الآن، أن أكثر ما ترغبه في الحياة هو أن يغازلها سايمون..

ارتجفت ونظرت بتوتر إلى سام عبر رموشها. فقال بصوت أجش:

ـ من الأفضل أن تنسيه فينيلا.

فيما كان يتكلم كانت عيناه تطوفان على جسدها.. فانكمشت. وأحست فجأة بالخوف.. إنها معرضة لكل أنواع الأخطار هنا.. تمنت لو أن الدراجة النارية معها لتتمكن من الهرب.. تمنت.. تمنت، بمعجزة ما، مجيء سايمون.

سمعت سام يضحك ضحكة قصيرة.

ـ أنت مذعورة، ألست هكذا فينيلا؟ ليس من الصعب قراءة ما يجري في رأسك.. لا بأس عليك، ابتسمي.. قد لا تنظرين إليّ كسيد مهذب، لكنني لن أفعل ما تفكرين به.. أعتقد أن من الأفضل أن تعودي إلى السيارة لأعيدك إلى المنزل.

أطلقت نفساً بطيئاً ارتياحاً.. وتمكنت من الابتسام:

ـ ماذا ستفعل سام؟

ـ سأبقى هنا كما خططت.. وماذا غير هذا؟ سأستيقظ عند الصباح غداً، وأقوم بتفتيش دقيق.. لا يزال الاويال سبب عيشي.. وإذا بدا لي أن الأمر يستأهل، فسأحصل على الترخيص، وأعود إلى هنا لأحفر منجماً.. ولو صدف أن التقيت بهذا الرجل الذي تحبينه.. فلن أعدك بعدم لكمه في أنفه.. إنه سايمون ماكسويل، أليس كذلك؟ أذكر أن جيف قال لي مرة إنك تعلقت به منذ سنوات.

عضت فينيلا شفتها دون أن تجيب.. واستدارت بارتباك إلى السيارة.

على بعد أربعة أميال من المنزل، تعطلت السيارة. فخرج سام يتفحص المحرك، فنظرت فينيلا إلى ساعتها.. لقد تجاوزت الرابعة

والنصف.. حاولت تصور ما يحدث الآن في ملعب التنس.. وتخيلت سايمون يسأل عنها: أين فينيلا؟ وبالتأكيد ستجيب تيفاني: لقد خرجت مع رجل.. وهل سيهتم سايمون؟ هل سيتساءل ما إذا كانت قد وضبت حقائبها ورحلت؟ هل سيبحث في غرفتها؟

أطل سام من نافذة السيارة:

ـ سيتطلب إصلاحها بعض الوقت.. لا بأس في هذا؟

هزت رأسها فيما توجه هو إلى الصندوق لإحضار العدّة، بعد لحظات نزلت من السيارة.

ـ من الأفضل أن أبدأ السير سام..

كان وجهها شاحباً وهي تبتسم له.. وأكملت:

ـ وإذا واجهت المتاعب، سر إلى المنزل واطلب المساعدة.

ـ سأكون على ما يرام.. يجب على المرء أن يعرف شيئاً عن الميكانيك حين يعيش كما أعيش أنا.

رفع رأسه ينظر مباشرة إليها:

ـ هل ستقولين وداعاً لي.. أم أن هذا كثير عليّ؟

كان يطلب منها أن تعانقه.. وهي لن تستطيع التجاوب معه. ابتسمت ابتسامة ملتوية:

ـ سأراك مرة أخرى سام.. حين يأتي جيف.

بدت عليه المرارة:

ـ لا عناق..؟ فهمت.. وداعاً إذن.. يجب أن تعذريني لأنني لن أتمنى لك حظاً سعيداً مع ماكسويل..

سارت فينيلا مبتعدة.. أحست بمشاعر التشوش والتعاسة تخيم عليها. لماذا يجب أن تكون الحياة هكذا؟ إنها لا تستطيع أن تحب سام، ومن غير المجدي أن تحب سايمون.

سارت لوقت طويل قبل أن تظهر أمامها سيارة سايمون.. توقف أمامها مادّاً رأسه من النافذة ينظر إليها، وعيناه سوداوان من الغضب..

أمر غريب.. لكن رغم الطريقة التي كان ينظر بها إليها، أحست أن قلبها يذوب وتشكلت الكلمات في رأسها: «إنه رجلي» لكن.. لو.. لو أنه يحبها.. لو أنه يريدها للزواج به..

ابتسمت له بضعف وقالت:

ـ أعتقد.. أنك كنت تفتش عني.

فتح الباب لها، وقال بصوت أجش:

ـ اصعدي.. أجل.. كنت أتساءل أين أنت.. قال بيل إنه شاهدك مع رجل في سيارة.. أين كنت؟ ولماذا تعودين إلى المنزل سيراً؟

أجفلت للهجته:

ـ خرجت لنزهة، هذا كل شيء.. وأنا عائدة سيراً لأن سيارة سام تعطلت على بعد قليل من هنا.. وقال إن إصلاحها قد يستغرق وقتاً.

كانت تعي أنها تبدو مذنبة، وكأنها تخبيء شيئاً. وهذا بالطبع ما تفعله.. ونظرت إليه يائسة.. كانت عيناه تنظران إليها ببطء وإهانة:

ـ إذن كان هذا صديقك سام.. هذا ما خمّنته حين قالت لي تيفاني إن شخصاً جاء إلى المنزل يبحث عن صديقته.. ولا تحاولي الاستهانة بذكائي بالقول إنك خرجت في نزهة معه.. لو كنت أعلم أنه داخل أملاكي، لطردته.

احمر وجهها، ولمعت عيناها غضباً:

ـ بأي حق تطرد صديقاً لي؟ أظنك ستطرد أخي أيضاً حين يأتي إلى هنا ليصطحبني معه.

رد بسخرية باردة:

ـ يجب أن أفكر قليلاً بهذا.. أما في هذه الأثناء، ماذا اتخذت من ترتيبات؟

ـ ترتيبات حول ماذا؟

ـ وما رأيك؟ عن الرحيل بالطبع.. أليس هذا هو هاجسك الأكبر؟ أعجب لأنك هنا الآن.. ما الذي منعك من توضيب حقائبك والهرب

حين وصل صديقك؟

بالضبط.. ما الذي منعها؟ سيندهش لو عرف.. وتساءلت بمرارة كيف ستكون ردة فعله لو قالت له.. استجمعت نفسها وقالت دونما اكتراث:

ـ ساورتني شكوك أنك ستثور لو غادرت مع سام.. ومن كلامك السالف عنه، تبين لي أنني كنت محقة في ظني.. أليس كذلك؟ سيأتي أخي بعد بضعة أيام وسأرحل معه، هذا إذا قررت أنت السماح له بدخول أملاكك.

نظر إليها متجهماً، فمه مشدود ومستقيم، غير مبتسم:

ـ ستتحدث في هذا فيما بعد.. وفي حال نسيت، من المفترض أن نلعب التنس معاً بعد الظهر.

قالت بلؤم:

ـ لا أريد أن ألعب.. لا أحس.. برغبة.

نظر إليها بغضب، فأحست بوجهها يشتعل، وقال:

ـ حسناً.. أخشى أن تكوني مضطرة للعب.. شئت هذا أم أبيت!

تلاشى لون وجهها: لماذا؟

ـ لأن هذا ما قررته.

ابتعدت قليلاً عنه ولم يتحرك ليمسك بها، لكنها كانت تحس بدبدبات رجولته تؤثر عليها.

عند وصولها إلى المنزل، ذهبت إلى غرفتها، استحمت، وارتدت جينزها الأبيض وقميصاً أبيض نظيفاً.. ارتدت الحذاء المطاطي «السنكيرز».. وخرجت إلى ملعب التنس.

* * *

٨ ـ كلمتان محرمتان

وصلت إلى الملعب فوجدت تيفاني وبيل يلعبان التنس، ولم يكن سايمون موجوداً.. فجلست على مقعد في الحديقة المجاورة خارج الملعب تراقبهما، ولوّح بيل بمضربه نحوها، بينما نادتها تيفاني بابتهاج:

ـ لقد تأخرت قليلاً.. أليس كذلك؟

بتوتر وترقب جلست بانتظار سايمون.. وأبدى الاثنان لعبتهما، فتوجهت تيفاني نحو المنزل بينما سألها بيل:

ـ أتريدين أن تلعبي؟

قالت بعد تردد بسيط:

ـ لست بارعة بما يكفي لأغلبك.

ذهب بيل، وظلت هي تنتظر سايمون، مع أنها الآن تستبعد قدومه. أخذت تقلب المضرب بين يديها، تقول لنفسها انها تكرهه.. وكان من الأفضل لو انها رتبت أمر رحيلها مع سام.

أظلمت السماء تقريباً حين كانت بطريق العودة إلى المنزل.. كانت الأنوار مضاءة، والموسيقى تتعالى في الهواء بحزن وتختلط برائحة زهر الليمون الفواحة من الحديقة.. في المطبخ، كانت تيفاني تحضر العشاء.. وأحست فينيلا بقلبها يتورم حزناً.. ماذا تفعل هنا بحق الله؟ كان بالإمكان أن تكون الآن في وايت كليفز مع جيف، في ملجأ محفور تحت الأرض دون شك، دون وسيلة راحة واحدة، مع

ذلك ستكون آمنة.

رأت أن الأوان لم يفت بعد، فدخلت غرفتها. لا شيء يمنعها من استعارة دراجة نارية في الصباح لتذهب إلى ذلك المرعى النائي حيث يخيم سام.. وما إن تصل وايت كليفز، ستحاول إقناع جيف بأن يكون أكثر تعقلاً ثم تعود إلى سيدني.

نظرت إلى المرآة، أسدلت شعرها الأسود كالغيم، وكشرت. إنها لا تريد أن تعود إلى سيدني فحياتها في الواقع فوضى كبيرة. إنها تنتمي إلى هذا المكان وفي الوقت عينه لا تنتمي إلى أي مكان؟ وهذا ليس أمراً مضحكاً.. ونظرت إلى نفسها في المرآة وعليها محيا الكآبة.

غيرت ملابسها ونزلت إلى العشاء.. أي عذر لسايمون في استيقائها هكذا؟!

لكنه لم يعط عذراً بالطبع. ساحر، واثق من نفسه، جذاب بشكل مدمر في قميص أسود، جلس قبالتها ولم يقل شيئاً مطلقاً عن تغيبه عن ملعب التنس. وأكلت فينيلا الطعام الذي جهزته تيفاني، كان مطهواً بغير عناية، لكنها كانت جائعة رغم كل شيء.

أثناء تناول الحلوى، سألت تيفاني بخبث:

ـ هل وجدك صديقك الفاتن بعد الظهر فينيلا؟

ابتسمت ببرود ولم تنظر إلى سايمون، وردت بأدب:

ـ أجل.. شكراً لك.

لم يقل شيء بعد عن الموضوع.. بعد لحظات أعلن بيل أنه قرر السفر إلى أديلايد.. وأضاف مكتئباً:

ـ لقد جربت العيش هنا.. لكنني أعتقد أنني لست من الصنف الذي يحيا حياة الريف.. إضافة إلى أنني لا أريد لزواجي أن ينحطم.

قالت تيفاني بحدة:

ـ اسمع بيل.. لست ممن يتراجع. دع إيما وشأنها إلى أن تصحو وتعود إليك.. أنت من يجب أن يقرض ما تريد وليس هي.

ابتسم سايمون ساخراً:

ـ لم أكن أعرف أن لديك أفكاراً كهذه.. ما كنت لأصدق هذا لو سمعته عنك، تيفاني.

نظرت إليه بغضب ثم استأنفت الكلام مع أخيها:

ـ لا يمكنك الرحيل هكذا وترك تود من دون مساعد.. ثم ماذا ستعمل حين تصل «أديلايد»؟ هل ستعيش على حساب إيما؟

رد باختصار:

ـ بالطبع لا.. سأجد عملاً.. وأنا أتمنى أن تهتمي بشؤونك تيفاني.. فكلما أسرعت في العودة إلى عملك كان ذلك أفضل لك.

صرخت وهي تدفع شعرها المجعّد إلى الوراء:

ـ كم أنت معترف بالجميل.. ألست كذلك؟ أبقى هنا لأعتني بك وأطهو لك طعامك وتتصرف معي وكأنني لا فائدة مني.. مثل.. مثل المربية هنا.

بدا الإحراج على بيل، واحمر وجه فينيلا.. ثم قال:

ـ ظننت أن لديك أسباباً أخرى للإقامة هنا، عدا عن العناية بصحتي.

صمت قليلاً، ثم قال لسايمون بعد أن هدأ:

ـ هل ستكون في وضع حرج لو غادرت؟ قل لي بصراحة!

قال سايمون مقطباً جبينه:

ـ لا أظن هذا.. أستطيع مساعدة تود بنفسي لو لزم الأمر. لن تكون المرة الأولى في حياتي التي أتعاطى فيها مع الغنم.. في الواقع، تمر بي أوقات ينتابني فيها إغراء شديد أن.. أن أضع نفسي بين يدي تود لأتعلم المهنة جيداً، افعل ما تريد بيل.. أعتقد أننا سرعان ما سنجد شخصاً يحل مكانك.

التفت إلى فينيلا، وتساءلت عما إذا كان يفكر بجيف. لكن هذا مستحيل، فحين يظهر جيف هنا لن يطلب منه البقاء.. وسيغادران

معاً، فهما غير مرغوب فيهما هنا.

قالت تيفاني مع ضحكة قصيرة:

ـ ما قلته ينافي العقل سايمون.. أنت رجل مبدع، وستضيّع حياتك هدراً هنا فيما لو انقلبت إلى راعي أغنام.

قال بحدة:

ـ أستطيع تقرير أموري بنفسي تيفاني.. فلا تحاولي دس أفكارك المسبقة عن شخصيتي في ذهني.. من الممكن جداً أن يكون المرء مبدعاً ومزارعاً كما أتصور.. ما رأيك فينيلا؟

أتاها الاستفهام على حين غرة، فلم تعرف ما تجيب.. لماذا بحق السماء يسألها رأيها؟ وخطر ببالها رد جنوني:

ـ أعتقد أن بإمكان المرء فعل أي شيء يصمّم عليه.. ولست أدري.. أنا.. أعتقد هذا.

شخرت تيفاني استهزاء وصاحت:

ـ وكأن فينيلا تفهم شيئاً من هذا.

أرجع سايمون كرسيه إلى الوراء.. وقال:

ـ تعال إلى المكتبة بيل، وسنتكلم هناك.

التفت إلى فينيلا:

ـ أراك فيما بعد.

خفق قلبها.. يراني لأجل ماذا؟ ولاحظت أن تيفاني تنظر إليها بغضب.. وقالت بضراوة متوحشة:

ـ لو غادر بيل فستكون هذه فرصة سايمون للخلاص منك.

وقفت ثم غادرت الغرفة.

حملت فينيلا الأطباق إلى المطبخ حتى تغسلها جانيت في الصباح، ثم ذهبت إلى غرفتها حيث رمت نفسها فوق السرير.

راحت تفكر بقرار بيل.. تيفاني لا تريد هذا، وفينيلا تشك في أن اعتراضها على بيل يعود إلى أن وجوده هنا يمنحها العذر للبقاء قريباً من

سايمون. لكن، مهما كان زعم تيفاني، فلينيلا مقتنعة أن سايمون لا يحبها.

فيما كانت مستلقية في السرير والغرفة مضاءة بنور خفيف، تظرت حولها تتذكر.. كانت هذه غرفتها بالذات.. إنها ملاذها الآمن.. أما الآن فهي ضيفة فيها.. ضيفة سايمون ماكسويل. لكن لماذا؟ هل لهذا علاقة بمحاولات سايمون إقناع تيفاني أنها ليست مهمة بالنسبة له؟ أم أنه حقاً مهتم بما ستفعله فينيلا بحياتها؟ لكنه قال إنها تستطيع فعل ما تشاء.. أن تغادر مع جيف حين يأتي أو تعود إلى حبيبها «الملتحي».

وأجفلها طرق الباب بقوة وتصميم. تمتمت دون أن تتحرك:

- اذهب من هنا.

انفتح الباب ودخل سايمون.. شعره الأشقر مشعث وفي عينيه الخضراوين نظرة اكتئاب..

- فينيلا؟

جلست على حافة السرير، تشبك أصابعها في شعرها.. إن مجرد النظر إليه يجعلها ضائعة، عاجزة..

- ماذا تريد؟ لقد ذهبت إلى ملعب التنس وأنت لم تحضر، فهل هذا مزاح؟

قال بنفاد صبر:

- أوه.. نسيت.. لقد كان الوقت متأخراً للعب التنس.

جلس قربها على السرير، يداه مضمومتان بين ركبتيه:

- كنت أكلم بيل لتوي.. حين يذهب سيحتاج تود إلى من يعمل معه في تدبير شؤون الغنم.. فهل تريدينني أن أرسل خبراً إلى جيف؟

اتسعت عيناها:

- لم أكن أعتقد أنك ستفكر بهذا.. ثم لقد ظننت أنك أنت ستساعد تود.. قلت هذا خلال العشاء.

أشار بيده:

- فيما بعد ربما.. فلدي ما يكفي ليشغلني في الوقت الحاضر. هناك الكتاب الذي يجب أن أنهيه.. وأنت؟

عضت شفتها:

- أنا؟ لكنني سأرحل قريباً.. حين يأتي جيف.

- أذكر أنني وافقت على هذا، لكن منذ ذلك الوقت فكرت قليلاً.. ولقد غيرت رأيي.. من الواضح أنك تفتشين عن شخص ترتبطين به، فأنت الآن وحدك.. لكن لماذا سام؟

سألت: ولماذا يرأيك؟

نظر إليها دون ابتسام، وسأل:

- هل كان يغازلك؟

- أنا لا أرى أن هذا يعنيك.. على أي حال.. هذا يعتمد على ماذا تقصد بالغزل.. هو فقط..

وصمتت، تحاول أن لا تتذكر كيف أحاطها حين جذبها إليه لمعانقتها.. فقال سايمون بإصرار:

- هيا.. تابعي الكلام: هو فقط ماذا؟

- لست مضطرة للاعتراف الكامل لك أو لأي شخص آخر. فأنا لم أسألك يوماً عن نوع علاقتك بتيفاني

قال بصوت صارم:

- هذا أمر لا دخل له بموضوعنا.. لكنني أهتم بما تفعلينه خلال بحثك عن الحب والأمان، أو كائناً ما يكون بحثك؟

خفق قلبها لشيء ما في لهجته، لكنها صاحت ساخرة:

- أوه.. حقاً؟ لقد قلت لي هذا من قبل.. أنت تعرف ماذا كان يأمل والداي..

التوت شفتاه:

- هذا أمر صحيح وأنا واثق أنهما لن يرضيا عن فكرة هربك وإلزامك نفسك برجل مثل سام.

سألت بمكر:

- ومن تقترح إذن؟

قال بعد لحظات:

- كنت سأصل إلى هذا.. لكن أولاً، أريد جواباً مباشراً وصادقاً على سؤال واحد.. هل تحبين سام؟

بالطبع لا تحبه! لكنها ترددت ثم ردت كاذبة: ربما.

- ربما؟ ماذا يعني مثل هذا الرد؟ إما أن تحبيه أو لا، فقرري.

- سأقرر متى يناسبني ذلك.. لست مضطرة لقرارات متسرعة لمجرد إرضائك.

تمتم وهو يقف على قدميه ويسير في الغرفة:

- أنت مضطرة لاتخاذ قرار متسرع في دقيقة أو اثنتين.

- ماذا تعني؟

عاد نحوها ينظر إليها.

- لقد سألتني للتو من أقترح بديلاً عن سام.. حسناً.. أقترح عليك الزواج بي فينيلا. ربما لم تقرري بعد ما إذا كنت تحبينني أم لا، لكن هذا يحل معظم مشاكلك.

حدقت فينيلا فيه بوجه شاحب، كانت مقتنعة تماماً أنها تتخيل أو أنها تحلم.. الزواج منه! لا يمكن أن يعني هذا..

قالت:

- أوه لقد قررت بشأنك منذ زمن طويل.. أنت آخر شخص في العالم أريد أن أتزوجه.. ولا بد أنك فقدت عقلك كي تقترح هذا.. لماذا بحق السماء أتزوجك؟

سأل وهو يرفع حاجبه:

- ألم أوضح لك للتو؟ يجب أن تتعلمي الإصغاء فينيلا.

امتقع لونها.

- أتعني أن السبب هو اعتراضك على سام.. حسناً، إذا كنت تريد

أن تعرف.. فأنا أثق به أكثر مما أثق برجل مثلك، سايمون ماكسويل.

ولم تكن في الواقع تعرف ماذا تقول.

رد بخشونة:

- إذن حان الوقت لتستفيقي.. ماذا لديه ليقدمه لك؟ أيظن هو أن نوع الحياة التي يعيشها يلائمك؟ لم أكن أعتقد أنك تنتمين إلى صنف النساء اللواتي يقررن أن القيم التقليدية لم يعد لها أية قيمة.

- إذا كنت تعني الماديات الدنيوية، فأنا لا أضعها على رأس الأولويات عندي.. وأنا.. أنا لن أتزوجك، مهما كان نوع الترف الذي يمكن أن تقدمه لي. هناك أشياء أخرى كثيرة أكثر أهمية من العطاء.

وافق بنعومة:

- أكثر من هذا النوع من العطاء.

تجولت عيناه فيها مطولاً، وأكمل:

- هناك أشياء كثيرة نتشاركها فينيلا.. وأظنك تعرفينها.

بدأ قلبها يخفق مجدداً بشدة.. حين ينظر إليها هكذا، فكل ما تستطيع فعله هو أن تمنع نفسها من القفز والارتماء بين ذراعيه. والمشكلة أن من المستحيل بالنسبة إليها تصديق سايمون فيما خص الزواج بها.. ولم يكن لديها فكرة عن كيفية التعامل مع الموقف.

تسمرت عيناه في عينيها، وتسمرت في مكانها متوترة. تحرك نحوها. وبارتباك تراجعت، فاصطدمت ركبتاها بحافة الفراش فقدت توازنها. لكن، قبل أن تتمكن من تقويم نفسها، كان قد أمسك بها، تغلبت عليها موجة من المشاعر بسرعة، رغماً عنها.. حين استسلمت كانت قد أصبحت بين ذراعيه تماماً في عناق حرّك كل كيانها وأدركت ضعفها، فتعلقت به دون مقاومة.

لزمتها إرادة قوية حتى يستعيد عقلها الحياة وتعود إلى الواقع.. وسمعته يتمتم:

ـ أطلب منك الآن فينيلا.. أن تتزوجي مني.

حاولت الابتعاد عنه لكنه شدها إليه مجدداً.. فهمست بارتجاف دعني.

لكن قلبها لم يكن يريد منه أن يدعها..

قال بإصرار، بصوت أجش:

ـ قوليها.. قولي إنك ستتزوجيني.

صاحت:

ـ أبداً! أنا.. أنا لا أثق بك.. ولم أنس بعد أنك رفضتني من قبل.

وأدارت وجهها جانباً بغضب.. فقال بصوت منخفض:

ـ هل هذا ما كنت تفكرين فيه؟ أنا لم أرفضك فينيلا.. كنت أنوي العودة إلى بايترزهيل حين تكبرين وتتجاوزين مرحلة الوقوع الرومانسي في حب نجم تلفزيوني. ولم أكن أعرف أنك ستختفين وأن والدك سيموت وأن أمك ستأخذك إلى مكان بعيد.

بطريقة ما تمكنت من المقاومة للابتعاد عنه، وجلست.. هل يعني حقاً ما قاله؟ نظرت إليه متوترة من خلال رموشها، تضع يديها على خديها المحمرين.. أمسك أحد معصميها بين أصابعه وأخذ يتلاعب بأصابعها.. ثم فتشت عيناه في عينيها، ولم تستطع أن تنظر بعيداً، وقال:

ـ بالتأكيد لم تكوني حاقدة عليّ لهذا السبب فينيلا! ألا تعرفين أن والدك كان يمكن أن يطردني؟ لقد ارتابت أمك حين جاءت إلى البحيرة ذلك المساء.. وطلب مني أبوك بصراحة أن أدعك وشأنك.

ارتجفت قليلاً وهي تصغي إليه في محاولة منها لفهم ما يقول.. هل حذره والدها حقاً؟ تذكرت تماماً ما أحست به ذلك اليوم قرب البحيرة، وتساءلت عن الذي رأته أمها على وجهها بالضبط في اللحظات القصيرة التي سبقت استعادتها لقناع البراءة الطفولية على وجهها.

كان إبهام سايمون يتلمس راحة يدها، وينظر إليها بقوة ضاغطة:

ـ كنت يومها صغيرة جداً.. وبريئة كما أنت دائماً.. ولا زلت لا تعرفين ما تريدين.. كيف تتصورين إحساسي وأنا أتخيلك عالقة في حقول الأويال؟ رجل يتخلى عنك ليلتقطك آخر.. في الواقع بدوت لي أنك على شفير كارثة ذلك اليوم في «كوبربيدي».. لقد صدمني حقاً رؤية ذلك المنقب القذر وهو يعانقك.

دفع شعره إلى الوراء، ومرر أصابعه فيه، فنظرت إليه واخترقت عيناه عينيها وهو يقول بصوت خشن

ـ كدت أفكر بقتلك بدلاً من أن أدعك تنجرفين إلى الحياة في الغبار والتراب ثم تُصابين بالمرارة والخيبة.. بإمكانك الزواج مني، وبإمكانك أيضاً تعلم التكيف مع الواقع الجديد والرضا به، سأعلمك.. والله يعرف أنك لست كبيرة على التعليم.

حبست أنفاسها وهو يعيدها إلى ذراعيه، وأدركت كم تريده من أعماقها أن يضمها ويحبها.. لكنها لا تستطيع قول هذا له.. ليس قبل أن تكون مقتنعة بأنه يحبها، وهذا قد لا يحدث أبداً. وفي هذه الأثناء، الكلمتان الشهيرتان الصغيرتان «أنا أحبك» هما محرمتان بالنسبة لها.. الألم الذي تلا بعد أول وآخر مرة قالتهما فيها، كان لا يزال حقيقياً جداً.

أطلقت آهة صغيرة وابتعدت عنه، لكنه لاحقها، وتمتم:

ـ قولي إنك ستتزوجينني فينيلا.

وكأنها لم تستطع السيطرة على نفسها، تنهدت برد يعلو عن الهمس قليلاً:

ـ أجل.. سأتزوجك سايمون.

لقد جُنت بالطبع.. فالزواج في نظرها أمر جدي.. وقول نعم لمجرد الانجذاب إليه، هو كالبحث عن المتاعب.. أوه، هي تحبه، لا شك في هذا. لكن ما هو شعوره نحوها؟ وكيف لها أن تسأله: هل

تحبني سايمون؟ لن تستطيع سؤاله، ولا تريد أن تسأله.. ولا تستطيع كذلك سحب وعدها. لا تستطيع ولا تريد.

سألت هامسة:

- متى تريدني أن أتزوجك.. سايمون؟

نظر إليها بغموض، شظايا الذهب الصغيرة في عينيه تتراقص كشرر النار.

- يجب أن أفكر بالأمر.. وفي هذه الأثناء، لدي وعدك. ولا تنسي هذا.

أمسك بمعصميها وأصابعه تلفهما بحرارة، قال:

- سنخبر الآخرين في الصباح، هل تريدين الانتظار إلى حين إخبار زوج أمك؟

هزت رأسها نفياً، فهي تشك في أن يكون لجورج تايلور أي اهتمام بهذا. لكن إدنا ودونيس سينتهجان كثيراً، وقد يرغبان في المجيء إلى عنا..

قال:

- هذا ما ظننته.. على أي حال سأتصل به قريباً. ولسوف أكلم نود بأمر جيف.. حين يأتي سنتوصل إلى اتفاق ما.

ترك معصميها ووقف:

- نامي جيداً فينيلا.. أعي تماماً أنني لويت ذراعك قليلاً الليلة. لكن صدقيني سنتجح.

وخرج فيما كانت تحدق خلفه، تحس بالخيبة والصد قليلاً. كيف حدث هذا؟ وماذا عنى حين قال إنه لوى ذراعها قليلاً؟

سنتزوجه! لا تستطيع تصديق هذا! ولا تستطيع تصديق أنه طلب يدها!

زف سايمون الخبر في الصباح كما وعد.. مضيفاً وسط الرهبة التي أحاطت بها أنهما ينويان الزواج في أسرع وقت ممكن.. وذهل

بيل كثيراً حتى كادت فينيلا تضحك لتعابير وجهه.. أما تيفاني فقد قفز الغضب بسرعة إلى عينيها، لكنها سيطرت عليه فوراً واستخدمت أفضل ما لديها من براعة تمثيل لتقول بكل وقاحة إنها كانت تتوقع هذا، لذا فهي غير مندهشة أبداً..

لكن بعد أن ذهب الرجلان إلى منزل المدير، تلاشى هدوءها تماماً.

ارتدت تيفاني ثياب السباحة مع النظارات السوداء، ولحقت بفينيلا إلى الحديقة حيث كانت تقطف بعض الأزهار حتى تضعها في أواني المنزل.. لعدة دقائق، وقفت هناك، تهش الحشرات بأوراق السيناريو التي تمسكها بيدها، وابتسامة بغيضة ترتسم على وجهها. أخيراً عندما لم تعد تتحمل المزيد، ابتسمت فينيلا متسائلة:

- هل هناك ما تريدينه تيفاني؟

ردت بحدة:

- أجل.. أريد أن أقول لك شيئاً أو شيئين سينتزعان هذه النظرة عن وجهك.

صرت على أسنانها:

- إذن، هيا.. إذا كان هذا يريحك.

- سأفعل.. فقد يثير اهتمامك أن تعرفي أنني قلت لسايمون ليلة أمس إنني قررت العودة إلى «أديلايدة مع بيل. لقد اكتفيت من الريف.. ويبدو أنه قرر تأمين من يطبخ له طعامه.

ضحكت فينيلا:

- أوه تيفاني.. هل تلمحين إلى أن سايمون طلب يدي للزواج لمجرد أن يتأكد من هذا؟

اشتد ضغطها على فمها:

- لا.. ليس مضطراً.. لكنني أعرف سايمون.. إنه يحب أن يكون مسرحياً قليلاً.. بالطبع سيكون كل شيء مثيراً حين يقرر العودة

إلينا، سواء كنت متزوجة منه أم لا، سيتركك هنا وسط الريف النائي.
ولا تنسي عزيزتي أنه من السهل إنهاء الزواج هذه الأيام..
واستدارت بحدة مبتعدة عنها.

تركتها فيتيلا تذهب.. فلا جدوى من الجدال معها، لا سيما أن كلامها تنقصه الرصانة.. لكن على الرغم من محاولتها عدم الاهتمام بكلامها الشرير، إلا أنها اضطربت.. أيمكن أن يتركها سايمون ويعود إلى أصدقائه القدامى في ايدلايد؟ وهي تتابع تقطيع الأزهار أملت بشدة أن يغادر بيل وتيفاني المزرعة في أسرع وقت..

مرت نهاية الأسبوع دون مناسب تذكر، ودون أن يظهر أثر لجيف سيجا، لعبا التنس، تحدثا، تناولا الطعام، ورغم دفء سايمون ووده، لم يحاول التقرب منها أكثر وأقنعت نفسها أن هذ يناسبها تماماً.. لكنها كانت تعلم أن هذا غير صحيح.

يوم الاثنين بعد الفطور، اصطحبها سايمون معه في نزهة على الخيل.. حدثته عن زواج أمها، عن أخيها وأولاد زوج أمها، وفي غضون ذلك أخبرته لماذا لم تته تدريبها على التدريس لأن أمها كانت مريضة وتحتاج إلى مساعدة.

علق بخشونة:
ـ لقد عشت حياة مشتتة.. وها قد جئت أنا لأنتزع منك وعداً بالزواج مني.. ماذا تشعرين حول الأمر هذا الصباح؟

نظر إليها عبر المسافة التي تفصل جواديهما وهما يسيران تحت الأشجار، ونظرت إليه عبر رموشها، أنفاسها تتسارع، وخداها يحمران..

قالت مراوغة:
ـ حسناً.. نحن لا نعرف بعضنا جيداً.. صحيح؟
سأل بجد:
ـ وماذا تريدينني أن أفعل؟ أتريدين أن أضع هذا الكتاب على الرف

كي نتعارف بشكل جيد؟
صاحت:
ـ أوه.. لا! لا أريدك أبداً أن تفعل هذا!
واحمر وجهها، فابتسم لارتباكها وقال ساخراً:
ـ أعترف أن علينا إرجاء «استكشافاتنا» ليعضنا إلى ما بعد الزواج.
نظر إلى ساعته، وأكمل:
ـ والآن، أخشى أن أكون مضطراً للعودة إلى المنزل.. سنركب الخيل مرة أخرى في الغد إذا أحببت ذلك.
ـ طالما أنت متأكد أنني لن أقاطع أفكارك.
ـ أنت تقاطعين أفكاري، لكن ليس كما تعنين.. فأنا أتمتع بنزهتنا معاً.. وبالمناسبة، أتمنى أن يظهر أخوك الشاب قريباً.. فنود بحجة إلى مساعد جديد، فلن أكون قادراً على العمل معه لفترة طويلة، لأننا سنسافر في شهر عسل..

دار رأسها.. وأحست بالخوف والابتهاج معاً.. أما جيف فقد أثار اسمه لواعج قلبها.. فحتى لو ظهر فقد لا يكون مهتماً بالعمل هنا. لكن، يجب إبقاء الباب مفتوحاً أمامه.

ما إن عادا إلى المنزل، واختفى سايمون في مكتبه، حتى سارت نحو كوخ مارشال لتستعير إحدى دراجات المزرعة. ربما كان جيف مخيماً الآن مع سام.. لكنها لا تستطيع إخبار سايمون بهذا.. فقد يطلب رؤية ترخيصها، ومن المحتمل حدوث متاعب قد يقرر جيف إثرها أن لا يقبل بوظيفة المساعد.

استقبلتها باتي مارشال بابتسامة عريضة:
ـ لقد أخبرنا بيل الخبر الرائع حين جاء إلى هنا هذا الصباح.. أهنئك! أنا فعلاً سعيدة.. أنت وسايمون تعرفان بعضكما منذ زمن أليس كذلك؟ متى سيكون العرس؟
ـ لم نقرر بعد.. يريد سايمون إنهاء كتابه أولاً. ولست أدري كم

سيطول هذا.

- مع حافز مثلك، سيركض ركضاً لبنهيه.

ضحكت باتي وشاركتها فينيلا الضحك، ثم سألتها باتي:

- ألن تدخلي لتناول الشاي؟

- ليس الآن شكراً لك.. أتساءل عما إذا كنت أستطيع استعارة إحدى السيارات.. كنت سأطلب هذا من سايمون، لكنه يعمل وأكره أن ازعجه.

- وقته هذه الأيام ثمين. لكن السيارة الوحيدة هنا معطلة لأن إطارها مثقوب، بإمكانك استخدام الدراجة النارية إذا كان هذا يفيدك.. لست أدري ما إذا كان عليك طلب الإذن مني، فستصبحين زوجة «الرئيس»! وكم أنا مسرورة لهذا! كنت أقنعت نفسي أن الزوجة ستكون تيفاني لايتون، لكنني لم أشعر يوماً بالارتياح لها.. إنها ليست ريفية.. أتفهمين ما أعني؟ سايمون يحب حقاً بابترزهيل.. وأنت تحبينها.. أليس كذلك؟

- أجل.. أحبها.

ذهبت إلى الموقف وأخذت إحدى الدراجات النارية، وسرعان ما انطلقت نحو حقل الاويال.

لم يكن هناك أحد.. واستطاعت رؤية المكان الذي كان يخيم فيه سام. وتساءلت عما إذا كان قد قرر الرحيل لعدم جدوى التنقيب هنا، أو ما إذا كان عاد إلى وايت كليفز للحصول على الترخيص، وربما لجلب جيف معه.. ستضطر للعودة مجدداً بعد يوم أو يومين للتأكد.

بشيء من الإحباط عادت إلى المنزل.. حين وصلته أخيراً ووضعت الدراجة في الموقف، وجدت سايمون ينتظرها في الشرفة.

- أين كنت؟

احمر وجهها وأجفلت من لهجته العدوانية.. وأحست بالامتنان لأنها لم ترَ سام، ولن تضطر للكذب عليه في هذا الخصوص.

استندت إلى سياج الشرفة، وحاولت استعادة رباطة جأشها، وكانت تكره نفسها بسبب إحساسها بالذنب.

سألت وعيناها واسعتان بريئتان:

- أكنت تبحث عني؟

تجاهل سؤالها وكرر:

- سألتك أين كنت؟

أجبرت نفسها على الابتسام: في نزهة.

تقدمت قليلاً أمامه، لكنه أمسك خصرها.. فتوترت أعصابها.. وتسارع الدم متطلقاً في عروقها. استدارت لتواجهه.. فسألها:

- خرجت في نزهة.. وماذا يعني هذا بالضبط؟

تنفست بعمق.. فكما يبدو بدأت العدوانية تتحرك مجدداً.. رغم هدنة هذا الصباح.. وصاحت:

- لأجل السماء! هل.. هل كوني مخطوبة لك يعني اضطراري لإعطائك كشفاً عن تحركات يومي؟ ألا أستطيع تسلية نفسي كما أشاء وأنت تقفل عليك بابك مع كتابك، أو كائناً ما كان يشغلك؟

اسودت بشرته بالغضب وأشتدت قبضته على خصرها:

- أريد أن أعرف أين كنت؟

ارتجفت لشيء غريب في صوته. ماذا ستقول له؟ إنها كانت تبحث عن أخيها في مخيم سام؟

قالت مكشرة قليلاً:

- وإلى أين أذهب في هذا المكان؟

- بالضبط.. ثم إن تيفاني قالت إنك استخدمت دراجة نارية.

- ذهبت بنزهة عليها، ماذا تتوقع مني أن أفعل طوال اليوم؟ وأنت مشغول في مكتبتك؟

تجهم وجهه:

- عرضت عليك ترك عملي مؤقتاً.. لكنك رفضت.. وفي حال

نسيت لقد طلبت منك أن لا تستخدمي الدراجة النارية.. إنها خطرة جداً.

- لم أصب بأذى.. أنا معتادة عليها.

- الأمر سيان عندي.. قلت لك لا.. وأنا أعني تماماً كلمة لا. أخبريني في المرة القادمة إلى أين تريدين الذهاب، وسأجد الوقت لأصطحبك معي.

أحنى رأسه نحوها، وعرفت أنه سيعانقها.. مع أنها كانت تريد أن يعانقها، لكن هذا مستحيل الآن.. لن تستطيع القبول بهذا.. وجذبت نفسها منه، تدفع شعرها إلى الوراء متحدية، وقالت بحدة:

- لا داعي لإزعاج نفسك بتسليتي. والآن أتسمح أن تتركني أمر؟ أريد أن أغتسل وأنا جائعة، حتى ولو كان الغداء لا يهمك.

قال مقطباً:

- بل يهمني. سأراك في المطبخ بعد دقائق.

لدهشتها وجدت أنه قد حضر السلطة، وقام بصنع المايونيز بالزيت والخل وبياض البيض.

قال لها بابتسامة:

- لا تندهشي هكذا فينيلا.. أستطيع أن أطبخ، لست عديم الفائدة تماماً.

ردت بجفاء:

- أنا لم أفكر بهذا يوماً.. ماذا سأفعل؟

- حضري المائدة.. لاثنين. تيفاني لا تأكل ظهراً.. عليها أن تحافظ على تحولها في عملها.

نظر إلى جسمها الرشيق بإعجاب مما أثار حرجها حتى أنها سارعت محمرة الوجه لتحضير المائدة.

إذن، لقد سامحها.. ووعدت نفسها أنها في المرة الثانية التي تريد فيها الخروج للبحث عن جيف سوف تأخذ الشاحنة الصغيرة..

* * *

٩ - هل ينفع الانتظار؟

أثناء تناول الغداء زال التوتر بين فينيلا وسايمون.. ربما يكون قد ندم، فهو لم يعد إلى عمله بعد الظهر بل اصطحبها للسباحة في البحيرة حيث كانت تسبح وهي طفلة، وحيث تبادلت معه أول عناق. لم يتكلما كثيراً.. لكن شيئاً من الأحاسيس القديمة استعيد حتى أنها كادت تحس وكأن ناراً على وشك الانفجار.

تلك الليلة سارا في الحديقة واحتواها بين ذراعيه لكن دونما لهفة وانتابها إحساس غريب أنه يحس بخيبة الأمل تجاهها مع أنه لم يقل شيئاً، وغمرها الإحباط.

في اليوم التالي، استأنف العمل دون الخروج في نزهته الصباحية المعتادة على جواده.. وأحست فينيلا أنها مهملة ومجروحة.. وبسبب تململها قررت الذهاب إلى حقل الاوبال مجدداً.

اكتشفت شيئاً ما أثناء اقترابها من الأشجار المتشابكة ولوجئت قليلاً بوجود خيمة. إذن، لقد عاد سام! ومن المحتمل جداً أن يكون جيف معه. خففت سرعتها وأوقفت السيارة. شاهدت شخصاً يتقدم نحوها من بين الأشجار، وما إن ترجلت من السيارة حتى ظهر جيف.. فقالت بارتياح:

- أنت وحدك.. فأين سام؟

قست عيناه قليلاً:

- لقد عاد إلى وايت كليفز. لكن لماذا تسألين؟

لم ترد للحظات ووقفت في الظل تتأمله، كان شعره قد طال كثيراً، وهناك ظلال سوداء حول عينيه، وبدا هزيلاً متعباً.. من سيعتني به بعد رحيل سام؟ تلوّع قلبها، فلا أحد سيهتم به سواها.. وهو يرفض اهتمامها أصلاً.

أخيراً قالت:

ـ بما أنك هنا اعتقدت تلقائياً أن سام معك أيضاً. كان يجب أن تأتي إلى المنزل مباشرة.. كنت أنتظرك لأتكلم معك.. مساعد المدير سيترك العمل.. وهذه فرصة لك..

قاطعها:

ـ مهلك لحظة.. من قال إن لا فائدة من التنقيب هنا؟

ـ لو كان هذا صحيحاً لكان سام هنا، أم أنه يستصدر الإذن وسيعود فيما بعد؟

ـ لا.. لن يعود والشكر لك، فلو أنك لم ترفضيه لبقي هنا.

احمر وجهها:

ـ لكنني لا أشعر بشيء نحوه، في الواقع.. أنا..

صمتت محرجة من مجرد التفكير بالزواج من سايمون ماكسويل ثم أكملت:

ـ أنا مسرورة لوجودك هنا.. ألن تفكر على الأقل بفرصة العمل في بايترزهيل؟

قال بتوتر:

ـ لست مستعداً للتفكير بأشياء كهذه.. ولأجل السماء فيني.. لا تحاولي مجاملتي حتى أعود إلى ما تظنينه الطريق المستقيم.. يؤكد سام أن الأوبال موجود هنا، ولسوف أجده. ليس معي ترخيص في هذه المرحلة، لذا لا تتكلمي عن الموضوع إلى أن أقرر ماذا سأفعل، أتسمحين؟ ليس بمقدوري دفع غرامة خمسماية دولار الآن.

ـ أنا واثقة من أن سايمون لن يضطرك لدفع الغرامة جيف. ليس إذا

شرحت له..

ـ انسي أمر الشرح، ولا تدعي أحداً يعرف أنني هنا.. ودعيني أفعل ما أريد على طريقتي. أتسمحين؟

مرر يداً مغبرة على عينيه، وانخلع قلبها له.. إنه حقاً لا يبدو بصحة جيدة.

ـ جيف.. أنت لم تكن تعتني بنفسك.. ألن تأتي معي إلى المنزل وتعطي نفسك فرصة راحة؟.. أنت تتعب نفسك كثيراً.. ولا تأكل جيداً.. متى وصلت إلى هنا؟

ـ بالأمس ظهراً.. توقفي عن الاهتمام بي. أنا لم أعد أخاك الطفل، وأنا لن أعود إلى المنزل لتثيري ضجة حولي.

ضحكت مرتجفة:

ـ حسناً جداً.. لكن، هل لديك ماء.. وطعام؟

ـ الكثير من الطعام المعلب، وما يكفي من الماء لحاجة يوم أو يزيد.. باستطاعتي الذهاب إلى أحد الخزانات بعد غياب الشمس، أعرف مكانها تماماً.

ـ لست بحاجة لهذا جيف.. سأعود غداً، وآتي لك معي بماء وطعام.

رفع حاجبيه:

ـ لا داعي لذلك.

لكن في أعماق عينيه شاهدت الارتياح.

ـ لماذا لم تبق مع سام في وايت كليفز إذا كنت مهووساً هكذا بالأوبال؟ يجب أن لا تكون وحدك.. أنت بحاجة لرفيق معك وقت التنقيب.

ـ في الوقت الحاضر، أنا مضطر للاستغناء عنه.. ومن الجنون أن أتخلى عن ثروة محتملة لمجرد أن سام لا يريد البقاء هنا بسبب رفضك له.. أستطيع التنقيب منفرداً.

قطبت فينيلا جبينها وقد وجدت صعوبة في التصديق بأن سام جُرح إلى هذا الحد.. وتساءلت عما إذا كان تأكيده لوجود الاوبال هو مجرد وسيلة لإقناع جيف بالمجيء إلى هنا، لإسعادها هي فقط!

سأل جيف:

ـ ما أخبار عملك وتربية الأولاد؟ لا يبدو أنك مرهقة بالعمل.

ـ ألم يخبرك سام بشيء؟

ـ لا.. فقد كانت هناك أشياء أخرى تشغل باله.. إنه شاب جيد فيني.. وليس فقيراً.. فوالده يمتلك متجر مجوهرات في أديلايد.

قاطعته:

ـ وماذا في هذا؟ قلت لك إنني لا أحبه جيف.. وبالتأكيد هذا يكفي.

فتح يديه:

ـ حسن جداً.. حسن جداً.. اسمعي الآن، أريد أن أعمل، ومن الأفضل أن تعودي للولدين المفترض بك أن تربيهما.. وإلا سنكون كلانا دون عمل.

قررت الآن أن بعض الأشياء يجب أن يعرفها:

ـ أنا دون عمل الآن.

ـ ماذا تعنين؟ هل طردوك من دون أن يدفعوا لك تكاليف العودة؟

هزت رأسها نفياً:

ـ لا شيء من هذا.. هناك مجرد التباس.. عندما وصلت إلى هنا كانت السيدة لايتون قد اصطحبت الولدين إلى «أديلايد».

ـ وماذا تفعلين طوال اليوم إذن؟

ابتسمت:

ـ سايمون ماكسويل هناك، جيف.. تعرف أننا التقينا منذ سنوات، فطلب مني أن أبقى.. في الواقع، طلب مني الزواج به.

نظر إليها غير مصدق لما سمع:

ـ وستتزوجينه؟ لست أفهم.. قلت لي إنك تكرهين رؤيته.

احمر وجهها بعمق:

ـ هذا ما كنت أظنه.. لكن مشاعري مختلفة الآن.

قال ساخراً:

ـ الرهان عليه أفضل من الرهان على سام.. أليس كذلك؟

ـ لا شأن لهذا بذاك.

ـ صحيح؟ حسناً.. الأمر لا يعجبني. اسمعي فينيلا قد أكون مجرد أخاك الأصغر، لكنني رأيت الكثير مما يجري في هذا العالم. أنا لا أثق بسايمون ماكسويل. إنه محنك كثيراً بالنسبة إليك، ماذا يجري بالضبط؟ من هناك في المنزل؟ من يهتم بك؟ هل هناك مديرة منزل؟

تنهدت فينيلا:

ـ لا.. لا يوجد مديرة منزل لكن مساعد المدير وشقيقته يعيشان هناك.. إذا كنت مرتاباً، فلماذا لا تأتي وترى الحقيقة بنفسك؟

نظر إليها مفكراً:

ـ ها قد عدنا مجدداً! هذا ما تسعين إليه، أليس كذلك؟ أن تأخذيني إلى هناك وتغسلي دماغي.

صاحت بسخط:

ـ لا.. هذا غير صحيح، تتكلم وكأنني حمقاء.. وكأنني فعلاً مخدوعة.. حسن جداً، أعرف تماماً ما أسعى إليه.. وفي رأيي، أنت الأحمق. أتظن حقاً أن هناك ما يستحق التفتيش هنا وتركه سام لك؟ على الأرجح، قرر أنك لا تجلب إلا الفأل السيء، تعرف كما أعرف أنا أن المنقبين عن الاوبال هم أشخاص متشائمون جداً.. ولهذا تخلص منك.

صاح بشراسة:

ـ هراء.. لقد قال لي بصراحة إن من المفيد لي الانتقال إلى هنا.

لكن ليس بسبب الاوبال.. وفهمت فينيلا أكثر دوافع سام، ولو أن

جيف لم يفهمها . . متى سيستفيق أخوها على الواقع؟ إنه لا يبدو لها مؤهلاً لأن يحفر ويبحث بين التراب . . وأكمل :

ـ واضح كنور الشمس ما تسعين إليه . تنوين استدراجي إلى المنزل، بعدها ستشدين الحبل حول عنقي، لكنني سأقوم بالأمر على طريقتي . . وإذا قررت يوماً أن أرعى الأغنام، فسيكون هذا باختياري . . حلي مشاكلك وأنا أحلّ مشاكلي

هزت كتفيها عاجزة :

ـ حسن جداً جيف . . لا أريد الشجار معك، لكن هذه فرصة لا تعوّض وأكره أن تفوتك . . ولو تركتها تفلت من يدك، فسيأتون بغيرك .

بدا الضجر في صوت جيف :

ـ إذن، فهذا يناسبني تماماً .

ـ حسناً . . إذا كان هذا ما تريد . . فمن الأفضل أن أذهب .

واستدارت خائبة الأمل . . أمسك جيف بذراعها :

ـ لا تغضبي مني فيني . . أعرف أنك تهتمين بمصلحتي لكنني أكره أن يدفعني أحد .

تنهدت ثم ابتسمت :

ـ أنا آسفة . . سأحاول أن لا أكون كالأم القلقة . سأراك غداً .

ـ حسن جداً .

هذه المرة لم يكن سايمون ينتظرها ليسألها أين كانت . لكن تيفاني نظرت إليها بخبث حينما التقيا في المطبخ :

ـ هل كانت نزهتك جيدة هذا الصباح فينيلا؟ بما أنك الآن مخطوبة لسايمون فلا بد أنك تشعرين بامتلاك الأرض .

ـ ليس بالضبط . . لكن من الجيد استعادة الذكريات وارتياد الأماكن الحميمة .

ردت :

ـ أنا واثقة من هذا

لعبت فينيلا التنس مع سايمون في وقت متأخر من بعد الظهر . ومع أنه كان لطيفاً فقد لاحظت شيئاً من البرودة في تعامله معها وهذا ما آلمها .

تلك الليلة بعد العشاء، خرجا إلى الحديقة مرة أخرى، وهو يضع ذراعه حولها كان الترقب ينهش أعصابها . . قال لها :

ـ بيل وتيفاني سيغادران بعد يومين .

ـ عظيم .

ـ بإمكانك المجيء معي حين أوصلهما إلى ابروكن هيل . سنبيت ليلتنا هناك . وهذا ما سيعطينا الفرصة للحصول على رخصة زواج . . من الأفضل أن أتصل بزوج أمك . . كما أعتقد .

ردت تتمنى لو يضمها بين ذراعيه ويقول لها إنه يحبها :

ـ إذا كنت تريد هذا .

ـ أنت ترغبين على الأرجح في دعوته وولديه إلى حفل الزفاف . . وماذا عن شقيقك؟ يبدو أنه يتمهّل في الاتصال بك . . وبالمناسبة أين هو بالضبط؟

عضت على شفتها . . لا تريد الحديث عنه أو حتى عن الزواج . إنها تريده أن يحدثها عن الحب، وعما يشعران نحو بعضهما

قالت : سيظهر جيف .

أجفلها انغراز أصابعه في لحم ذراعها .

ـ ما بالك فينيلا؟ تبدين غير مهتمة . . كنت أظنك مهتمة بزفافك . . فما الأمر؟

ابتلعت ريقها وأحست بالدموع تتصاعد إلى عينيها . فأدارت وجهها عنه، وقالت مرتجفة :

ـ لا شيء . . أنا لم أعتد بعد على فكرة الزواج منك . هذا كل شيء .

ـ إذن من الأفضل أن تعتادي عليها بسرعة.. فسيحدث هذا في الوقت العاجل.

ـ ألا تعتقد أن علينا الانتظار إلى أن.. إلى أن تتأكد؟

الوقوع في حب رجل يختلف عن طلب يد المرأة.. ويختلف عن الأمرين معاً الزواج فعلاً، في وقت لا تثق المرأة فيه بحبه لها.. ما يزعجها الآن هو فكرة الزواج منه؛ ثم اكتشاف أنه لا يهتم بها حقيقة.

سألها وهو يشدها إليه:

ـ ألست واثقة الآن؟ ألا تعرفين مدى افتتاني بك حتى أنني أكاد لا أستطيع إبعاد يدي عنك؟

تصاعدت فيها مشاعر الشوق، فضغطت نفسها عليه.. وتلاشت كل الأفكار ما عدا فكرة قربه منها.

مرت دقائق طويلة قبل أن يقول لها بصوت أجش:

ـ لو كنت أهملك فينيلا، فهذا بسبب أنك تحتلين تفكيري إلى درجة أنني لا أهتم لشيء آخر.. لقد كاد كتابي أن ينتهي؛ بعدها سأكون حراً لأمنحك عقلي وقلبي. أريدك أن تعرفي أنني أقوم بكل جهد لأبقي يديّ بعيدتين عنك إلى ما بعد مراسم الزفاف.

تمتمت من بين أنفاسها:

ـ لست بحاجة لهذا.

حين عادا إلى الداخل، كان خداها محمرّان وشعرها مسترسلاً فوق كتفيها.. نظر سايمون إليها على نور المصباح وقال:

ـ أنت فاتنة الجمال، فينيلا.. ولست أدري ما أفعل لأجلك. كلما أسرعنا بالزواج كان ذلك أفضل.. سأتركك الآن، لن أنام الليل حتى أنكب على عملي إلى أن أصاب بالإرهاق.. فهل ستكونين على ما يرام؟

هزت رأسها إيجاباً.. إنها لا تريد أن تنام. بل تريد أن تبقى مستلقية، صاحية، تفكر بما قاله لها وبما ألمح به.. بالأمان الذي

أحست به وهي بين ذراعيه.

حضرت فراشها واستلقت في الظلام.. فكرت طويلاً به، وبنفسها، بزواجهما القادم. ولم تفكر مرة أخرى بجيف إلا وهي تنجرف إلى النوم، ثم بدأت صورته وهو متعب غائر العينين، تطغى على كل شيء.

مهما كان سيحدث في الغد، يجب أن تأتيه بالطعام والماء.. وتتأكد أنه بخير. لا يزال رابط الدم بينهما وهي تهتم بما سيحدث له.. السعادة التي تنتظرها كزوجة لسايمون، وأم لأولاده، هي نفسها التي تتوق لأن يحصل جيف عليها. لا أن يبقى متجولاً متشرداً على أمل أبدي لا ينتهي بأن يجد قوس القزح الذهبي.

في الصباح التالي، انتظرت انتهاء جانيت من عمل المطبخ تمهيداً لتنظيف البيت ثم ذهبت إلى المطبخ وأخذت الخبز واللحم البارد، البيض، والطماطم الطازجة والفاكهة، وملأت حاوية كبيرة بالماء. لم تخرج تيفاني اليوم إلى البركة وبقيت في غرفتها لتوضيب حقائبها كما تعتقد فينيلا. سترتاح كثيراً حين تخرج تيفاني من هذا البيت!

تسللت من المنزل وعبرت الحديقة دون مقابلة تيفاني. ثم أسرعت في طريقها نحو موقف السيارات. مستوعب الماء كان ثقيلاً، حتى أنها حمدت الله لأنها تركته والمؤونة الأخرى في الشاحنة الصغيرة قبل أن تزور باتي لإخبارها بأنها ستستعير المركبة هذا الصباح.

ـ افعلي ما شئت.. فلست بحاجة حقاً إلى أن تخبريني.. والآن لو عذرتيني.. فأنا مشغولة بتحضير بعض الخبز.

كانت محتارة قليلاً.. فهل هي تتصور هذا أم أن باتي كانت باردة معها؟ لم تستطع تصور ما صدر منها وأغضبها، لكنها ذكرت نفسها أن أي شخص معرّض لتقلب المزاج.

وجدت جيف يعمل جاهداً بالمعول.. وجهه شاحب، والعرق يغطيه مع أن الشمس لم تكن حادة كثيراً.. قالت له:

ـ لو تتوقف عن هذا العمل.. فبإمكانك فعل هذا في أوقات فراغك إذا كنت تعيش هنا.. وسيكون لديك المال لاستئجار الأدوات اللازمة لحفر أي موقع في وقت قصير.. إذا تابعت العمل هكذا فلسوف تخور قواك.

رمى معوله من يده.. ونظر إليها بعينين محمومتين:

ـ توقفي عن التذمر فينيلا. أنا أعرف ما أفعل.. تراب الاوبال لا يبعد أكثر من ثلاثة أقدام نزولاً. لقد درست تكوين الصخور وأعرف ذلك.. ولن أمانع في القليل من العمل الشاق.. فأنا لست طري العود. من فضلك، في المرة القادمة، جيئيني ببعض الأسبرين.. وهج الشمس يسبب لي الصداع.

ـ حسناً.. سأفعل.

أخذ جرعة ماء كبيرة، وكان العرق ينحدر من رقبته ليبلل أعلى قميصه.. وقالت له:

ـ أنا ذاهبة إلى بروكن هيل بعد يومين، وسأغيب لليلة. هل ستتمكن من تدبير أمرك؟

نظر إليها بتوتر:

ـ من دونك؟ بحق السماء، لماذا لا؟ لم أكن أعتمد عليك حين وضعت خططي.. ما المناسبة؟

جلس تحت ظل شجرة فيما كانت تراقبه وتحاول إقناع نفسها أنه بصحة جيدة.. وأن ما به من مظاهر المرض هو بسبب تأثير الحرارة فقط.

ـ سيغادر مساعد المدير وشقيقته.. سيوصلهما سايمون إلى بروكن هيل، وسأذهب معه وهناك سوف تحصل على إذن الزواج.

رفع حاجبيه ونظر إليها بحدة:

ـ أنت مستعجلة، أليس كذلك؟ أتمنى أن لا تكوني مخطئة.. أي نوع من الرجال هو؟

ـ لماذا لاتأتي وترى بنفسك؟

ـ لا.. شكراً.

رمى الكوب البلاستيكي الذي كان يشرب منه ووقف، ثم التقط معوله من جديد.

ـ هل أخبرت أحداً أنني هنا؟

ـ لا.. بالطبع لا.. لقد طلبت مني أن لا أفعل.

ـ لقد جاء أحدهم إلى الحقل ليلة أمس ولم يرني لأن أضواء السيارة لم تصل إلى الخيمة.. لكن هذا جعلني أحس بالشر على أي حال.

ردت فينيلا بلطف:

ـ بإمكانك تخليص نفسك من هذا الإحساس عندما تحصل على تصريح بالتنقيب، أو أن تأتي إلى المنزل وتطلب موافقة سايمون.

رفع حاجبيه:

ـ هذه نصيحة مرفوضة.

وتنهدت فينيلا.. أخوها صعب المراس أكثر مما توقعت.. حسناً.. لقد تدبر أمره من دونها منذ هجر المنزل، وتعتقد الآن أنه سيستمر هكذا.. لكن، وهي تعود إلى المنزل عبر طرقات المزرعة، عاودها القلق عليه.

ذلك المساء، اكتشفت أن بيل وتيفاني حزما أمرهما على المغادرة في اليوم الذي يلي الغد.. وعبّرت تيفاني عن سرورها لهذا. وادعت أنها لا تستطيع صبراً حتى تعود إلى المدينة، وتحدثت بإصرار مع سايمون عن المسرح، والأصدقاء المشتركين الذين تتوق لرؤيتهم.

أنهت كلامها متجاهلة فينيلا تماماً:

ـ أكمل ذلك الكتاب سايمون، وسنقيم احتفالاً عظيماً في ايدلايد.

رد ببرود:

ـ احتفالي التالي سيكون بمناسبة الزفاف.

ونظر إلى فينيلا بابتسامة حميمة.. فاحمر وجهها بعمق. وتمنت لو لم تكن بمثل هذه السذاجة حين استوعبت تيفاني ردة فعلها، وقالت:

ـ سأحاول الحضور. لكنني لا أستطيع أن أعد بذلك فأنت تعرف أهمية التمارين، وقد لا أتمكن من الحصول على فرصة للسفر إلى بروكن هيل، أو حيثما ستقيم الاحتفال.. على أي حال أنا لست من هواة حفلات الزفاف.

قال سايمون:

ـ انتظري إذن حفلة زفافك.

وهذا ما اعتقدته فينيلا تعليقاً غير لطيف منه.

تمكن بيل من الكلام بعد هذا، وسأل فينيلا:

ـ هل سمعت شيئاً عن أخيك فينيلا؟ سمعت بأنه قد يهتم بالوظيفة التي سأتخلى عنها.

ازداد احمرار وجهها، وقالت كاذبة:

ـ لا.. لم أسمع شيئاً.. وأستطيع القول إنه سيأتي في يوم ما.

نظر بيل إليها نظرة غريبة، فأشاحت بنظرها عنه وأكملت في محاولة لإخفاء ارتباكها:

ـ إنه.. لم يتخذ قراراً بعد ما إذا كان يريد الوظيفة أم لا.

سألها بيل بفضول:

ـ وبماذا يعمل الآن؟

عضت شفتها:

ـ إنه ينقب عن الاوبال في وايت كليفز.

وتمنت لو أنها لم تحدد مكانه.. لكنها ارتاحت أخيراً لأن تيفاني غيرت الموضوع، لتستأنف الحديث مجدداً عن موضوعها المفضل نفسها.

كانت فينيلا تتحضر للنوم ذلك المساء، وتفكر بقلق بجيف، حين

قرع سايمون الباب ودخل.

تقدم بسرعة بضع خطوات داخل الغرفة وجذبها بين ذراعيه يعانقها.. ثم تركها على مضض، وقال بخشونة:

ـ لم أجيء إلى هنا لهذا فينيلا.. أردت أن أقول لك إنني اتصلت لتوي بغافين ساوث، مديرة منزلي السابقة، قد تذكرين أنني كنت أحاول إيجادها في كوبرپيدي، وأنها وتيفاني لم تتفقا. وقد وافقت على العودة الآن. ستتمكن من اصطحابها معنا حين نكون في بروكن هيل.. ولسوف تتوافقين معها جيداً.

ردت بابتسامة مرتجفة: آمل هذا.

وفكرت كم ستشعر باستغراب عندما يكون لديها من يدبر عنها المنزل ويطهو لها الطعام..

ـ والآن.. ماذا عن الاتصال بزوج أمك؟ يجب أن تخبريه فهو في مقام والدك.

قالت محتجة:

ـ لن يهمه الأمر.. وأفضل أن أترك الأمر إلى وقت آخر حين ننهي ترتيب كل شيء.

قطب سايمون جبينه فيما كانت نظراتها توحي بالتمرد، وكانت تحس مثلها مثل جيف أنها تريد الأمور على طريقتها، وترفض أن يملي عليها ما يجب فعله وما لا يجب. وكم كانت دهشتها حين لم يصرّ سايمون على الأمر.. وقال:

ـ إذن سنؤجل الأمر إلى أن نعود من بروكن هيل.

فابتسمت ارتياحاً.

بدا جيف في اليوم التالي أسوأ حالاً.. ابتلع بعض الأسبرين مما أتت به فينيلا، وشرب كوب ماء كامل، وعاد فوراً إلى الموقع الذي كان يحفره.. وراقبته عاجزة لفترة، ثم ودعته واستقلت الشاحنة الصغيرة مغادرة المكان.

عندما وصلت المنزل، كانت قد قررت أن لا تسافر مع سايمون..
لكيف تفعل وهي تكاد تموت قلقاً على أخيها؟ حين يسافر والأخوان لايتون، قد تتمكن من إقناعه بالمجيء معها حيث يمكنه أن يرتاح ليوم أو يومين في فراش مريح، ويتناول طعاماً مناسباً. وإذا كان مريضاً حقاً فبإمكانه البقاء مدة أطول، وستجعل سايمون يعتقد أنه جاء وحده.

تلك الليلة، وضبت حقيبة صغيرة احتياطاً وكأنها ستسافر فعلاً في الصباح التالي.. وقررت في الوقت نفسه التظاهر بالمرض في الصباح.. وجهدت لتبدو منهارة، وذهبت إلى النوم باكراً.

في الصباح، لم تنهض من السرير. سمعت الآخرين يتحركون في المنزل.. لكنها بقيت حيث هي.. أخيراً جاءت تيفاني تدق الباب بحدة وتصيح:

ـ تحركي يا فينيلا.. وإلا سيفوتك الفطور.

لم ترد فينيلا أساساً لأنها لم تكن تعرف بماذا ترد. فدفعت تيفاني الباب وحدقت بها:

ـ ما الأمر؟ ألن تأتي معنا؟

جلست فينيلا، تدفع شعرها عن وجهها:

ـ أنا.. أنا لا أظن أنني أستطيع.. لا أشعر أنني بخير.

ـ افعلي ما شئت.

واستدارت خارجة.. بعد لحظات سمعتها تقول لسايمون بصوتها المسرحي القوي:

ـ خطيبتك الصغيرة لديها تعب صباحي أو شيء ما يا حبيبي.. وهي ليست قادمة.

بعد لحظة، كان سايمون في الغرفة.. على عكس تيفاني كان مهتماً وقلقاً، لكن فينيلا كانت محمرة غضباً وحرجاً بسبب ما قالته تيفاني.

سألها، وهو يجلس قربها على السرير:

ـ ما بالك فينيلا؟

ـ لا شيء.. لكنني أحس بصداع وغثيان.. أيهم كثيراً لو لم أسافر معك؟ إنها طريق بعيدة و..

ـ هل يساعدك الأسبرين؟

ـ أعتقد هذا.. لكنني أفضل أن لا أسافر معكم.

نظر إليها بابتسامة مؤنبة، ثم وقف:

ـ حسن جداً.. سيكون هناك أوقات أخرى.. وسأستحصل على ترخيص الزواج أكنت معي أم لا.. سأطلب من باتي أن تأتي لتكون معك..

ـ أرجوك لا تزعجها، فلديها ولداها لترعاهما، وستكون جانيت هنا لو احتجت شيئاً.. سأضطر إلى النوم وسأشعر أنني أفضل حالاً عند المساء.. أستطيع تحضير وجبة طعام لنفسي.. وسأكون على ما يرام حين تعود غداً.

ارتاحت لأنه لم يجادل طويلاً.. وغاب ليعود حاملاً الشاي وبعض الخبز والزبدة.. وما هي إلا عشرون دقيقة حتى كان الجميع في طريقهم.. وبقيت وحدها.

* * *

١٠ ـ جرح آخر في قلبها

لم تنهض فينيلا من السرير إلى أن أنهت جانيت ترتيب البيت وتنظيفه.. أثناء ذلك كان الصباح يشارف على الانتهاء.. أعدت جانيت لها كوب شاي قبل أن تعود إلى كوخها فيما أكدت لها فينيلا أنها الآن بخير.

ارتدت ملابسها بسرعة وهي خجلى من الكذبة التي اختلقتها لو لم يكن هناك ذلك البرود الذي لا تعرف له سبباً بينها وبين باتي، لكانت أسرّت لها بالحقيقة.

كان وقت الغداء قد قارب أوانه حين كانت تستعد للخروج. لدى جيف ما يكفي من الطعام، فأخذت مستوعب الماء فقط.. على الأرجح فإن باتي الآن مشغولة مع ولديها، وقررت فينيلا أن تأخذ الدراجة النارية لأنها أسرع، ويمكن أن تدفعها بعيداً عن المنزل قبل أن تدير المحرك.. فلا داعي لأن تعرف باتي أنها خرجت.

حين وصلت المخيم، وجدت جيف ممدّداً في الخيمة فوق كيس النوم، وجهه شديد الاحمرار، وعيناه متوهجتان. ومع أنه شرب كامل الماء الذي صبته له، أصرّ على أن لا داعي للقلق عليه.

ـ سأعرق جيداً وأتخلص من الحرارة.. لا شك أنها جرثومة قد التقطتها.

وعاد إلى الاستلقاء مستديراً إلى جانبه وبعد دقيقتين كان يغط في نوم عميق.

تجولت فينيلا قرب سفح التل لترى ماذا كان يفعل. ولم يبدُ لها أنه تقدم كثيراً منذ الأمس.. التقطت بضع قطع حجارة بدت رمادية لامعة، ثم رمتها مجدداً... هل يوجد أوبال هنا؟ إنه مجرد حدس.

حين عادت إلى الخيمة، كان جيف مستيقظاً ويبدو محموماً أكثر من ذي قبل.. كم هي غبية لأنها لم تأت بالشاحنة الصغيرة!

قالت بلهفة:

ـ اسمع جيف.. لا يوجد أحد في المنزل اليوم.. ذهب الجميع إلى بروكن هيل.. ولن يعود سايمون قبل الغد.. أتظن نفسك قادراً على الركوب خلفي فوق الدراجة؟ من الأفضل أن أصطحبك إلى المنزل معي.

نظر إليها، عيناه لامعتان بلون الدم، ثم هز رأسه:

ـ لا تخافي.. سأستميد عافيتي هنا مثل أي مكان آخر.. فأنا صغير جداً على الموت.. اذهبي أنت إلى المنزل فيني.. لا يمكنك فعل شيء لي.

واستدار إلى جانبه.. بعد لحظات خرجت من الخيمة. بالطبع، لا تنوي أبداً أن تتركه، لأنها كانت قلقة على الرغم مما قاله.

كان الوقت يقارب المغيب، وكانت على وشك تحضير حساء معلّب له حين سمعت صوت محرك.. قفز قلبها. وسرعان ما ارتاحت، إنه سايمون! لكنه في بروكن هيل، وكانت سيارة سام الموحلة هي التي تقدمت تقفز فوق الطريق الترابية.. وفيما كان يتوقف ركضت إليه لتراه:

ـ سام! أوه.. أشكر الله لقدومك! جيف مريض.. وأنا قلقة عليه كثيراً.. كان يجب أن آتي إلى هنا بالشاحنة كي أتمكن من اصطحابه إلى البيت.. فلا أحد هناك، وقد ذهب الجميع إلى بروكن هيل.

أمسك بذراعها وسار معها إلى الخيمة، ثم سألها:

ـ ما الذي حدث حتى تركتيني؟ أعتقد أنك لا زلت تحبين سايمون

ماكسويل؟

هزت رأسها واحمر وجهها:

ـ نحن.. نحن سنتزوج.

تجمد في مكانه ونظر إليها لحظة طويلة تثير التوتر.. ثم تقدم ونظر إلى داخل الخيمة.. أطلق جيف آهة وتحرك متململاً.. عند ذلك تناست الحوار السالف ونظرت فينيلا إلى سام بقلق:

ـ ماذا به؟ لقد نام معظم النهار.. ولست أدري ماذا أفعل.

جثا سام أمام جيف وتحسس نبضه، ثم لمس جبهته وتطلع إلى فينيلا:

ـ إنه بكل تأكيد محموم. أحضري لي بعض الماء البارد، وسأمسح جسمه بالاسفنجة والماء.. فقد يساعده هذا.

أسرعت في تلبية ما طلبه منها، وأحست بنفسها غبية لأنها لم تفكر بهذا من قبل.

فيما كان سام مشغولاً في الخيمة، بدأت تحضر وجبة الطعام، وقررت أن تتناول مع سام البيض المقلي مع علبة طماطم.. كان الظلام وشيكاً، وأشعل سام مصباح الغاز الصغير، وخرج من الخيمة ليرى ماذا تفعل.. وعندما وقف إلى جانبها، كان لديها إحساس أنه سيعانقها، فابتعدت عنه وسألته:

ـ ماذا جاء بك إلى هنا هذا المساء سام؟ هل ستعود إلى العمل؟ هل حصلت على الترخيص؟

ـ لا.. لا.. لا بد أن ما جاء بي هو حدس غامض بضرورة إنقاذ آنسة في ورطة. ثم أردت أن أعرف ماذا يحدث هنا.. هل قرر جيف أن يعمل في مزرعة الأغنام؟

ردت بخشونة:

ـ ليس بعد.. لكنني سأتابع جهودي، لا سيما بعد زواجي من سايمون.

صمت لحظات، تمابير وجهه لم تكن لطيفة، ثم قال:

ـ حسناً.. الآن أصبحت أعرف.. وهذا أحد أسباب عودتي إلى هنا. فلنتابع تحضير الشاي.

ابتعدت عنه وتابعت تحضير العشاء.. تناول جيف بعض الحساء ثم نام، بينما تناولت هي وسام البيض المقلي.. تزايد قلق فينيلا حول طريق العودة.. لو لم يظهر سام، لبقيت مع جيف، لكنها الآن لا تعرف ماذا تفعل.. والمشكلة أنها لم تكن تشعر أبداً بالأمان لجهة العودة إلى المنزل في الظلام وعلى دراجة نارية.

وقف سام ليصب الشاي، يسألها دون اكتراث:

ـ هل ستتألف فرقة تفتيش عنك إذا لم تعودي إلى المنزل الليلة فينيلا؟

تحول لونها إلى القرمزي:

ـ لا أظن هذا. على أي حال من الأفضل أن أعود بما أنك هنا لتسهر على صحة جيف..

قال بمرارة:

ـ لا داعي للعودة.. لن أحاول مغازلتك.. ظننتك فهمت هذا. بإمكانك النوم في خيمتي إذا شئت. سأبقى مع جيف لأراقب حالته. وإذا تحسن في الصباح فسأحمله في سيارته لأوصله إليك، ما رأيك؟

ـ عظيم.

نامت وهي في ملابسها، لكنها لم تنم جيداً.. استيقظت مرتين بسبب القلق على همهمة أصوات، لم تسمع ما كانا يقولان، ومع أنه من الأسلم لها أن لا تخرج من الخيمة فلقد كان من الصعب عليها العودة إلى النوم.

استيقظت ثانية ونور الصباح يكاد ينتشر. وكانت متلهفة للاطمئنان على جيف، أحست بعينيها ثقيلتين وأدركت أنها تبدو في حالة مزرية بينطلونها وقميصها المجعّدين، وشعرها الطويل المشعث.. لكن من

يهتم؟ على أي حال شاهدها سام في حال أسوأ من هذه في كوبربيدي.

كان مستيقظاً ومرتدياً ثيابه ويحضر إبريق شاي.

قال بعد أن ظهرت في نور الصباح الباهت:

ـ جيف ليس سيء الحال. أرجو أن لا أكون قد أقلقتك ليلة أمس بحديثي، أتريدين بعض الفطور؟ أنا أحضر الشاي كبداية.

تثاءبت:

ـ أحتاج بالتأكيد إلى كوب شاي. سأضع الزبدة على بعض الخبز؟

ـ أجل.. سخني علبة فاصولياء أتسمحين؟ سأتناول بعضاً منها وأعتقد أنك ستأكلين منها كذلك.. أما جيف فهو ليس مستعداً بعد لمثل هذا الطعام.. يكفيه الشاي.

أطلت من الخيمة لترى جيف، لكنه كان نائماً.. وقالت لسام:

ـ يجب أن أعود إلى المنزل قبل عودة سايمون، وإلا سيتساءل عن سبب غيابي.. ستبقى هنا اليوم، أليس كذلك سام؟

ـ طبعاً.. سأعتني بأخيك، فلا تقلقي.

ـ ربما كان من الأفضل أن تأتي به إلى المنزل حين يستيقظ.

ـ سأفعل هذا إذا احتاج الأمر لذلك. ومن الأفضل أن تذهبي الآن، فأنت لا ترغبين أن يرجع خطيبك ولا يجدك فيظنك قد هربت.

ابتسمت ابتسامة شاحبة وشكرته مودعة، ثم اتجهت بسرعة إلى الدراجة النارية.

في المنزل، تركت الدراجة قرب الشرفة الجانبية ودخلت.. أحست بالتعب والإرهاق بما يكفي لتقع أرضاً. لم تكن جانيت قد وصلت بعد فكتبت لها رسالة تركتها في المطبخ، تقول إنها متنام، وطلبت منها أن لا تزعج نفسها بأي شيء، فالمنزل نظيف تماماً ومرتب منذ الأمس.. ثم غسلت وجهها، خلعت حذاءها، ودون أن تخلع بنطلون الجينز والقميص رمت نفسها على السرير وشدت الغطاء فوقها. ستنام ساعة أو يزيد، وقبل أن يصل سايمون ستكون مستيقظة

صاحية.

استيقظت مجفلة لسماع أصوات ووقع أقدام. للحظة لم تستطع أن تتذكر أين هي، وأية ساعة الآن، ثم لما استعادت الوعي والذاكرة جلست بسرعة.. فلا بد أن هذه هي أصوات جيف وسام! شبكت أصابعها في شعرها، وأخذت تبحث عن حذائها حين انفتح الباب.. ولم تكن واثقة كيف عرفت حتى قبل أن ترفع رأسها أن القادم هو سايمون.. فأحست بقلبها يقفز وهي تلتقي بنظراته. كانت عيناه قاتمتين مشتعلتين تحت حاجبين مقوسين إلى الأسفل.. أحست بنفسها تحترق احمراراً وهي تنظر إليه.. قالت بغباء:

ـ لقد عدت! أنا.. أنا.. لا بد أنني غفوت.. ما الوقت الآن؟

ـ تقارب الخامسة.

شهقت برعب.. هل نامت كل هذا الوقت! لا تستطيع أن تصدق هذا.. العينان الناظرتان إليها عبر الغرفة، كانتا قاسيتين كالصخور.. فارتجفت قليلاً وهي تقف مستقيمة... وقالت:

ـ كنت أرغب في أن أكون مستيقظة حين تصل.

لكن الطريقة التي كان ينظر فيها إليها جعلت قلبها يتجمد.

لم يسألها عن صحتها وحالها، بل قال ببرود:

ـ أنا واثق أن هذا ما كنت تنويه.. والآن تحركي واجعلي نفسك تبدين بشكل لائق.. لا أريد أن تعرف مديرة منزلي أنك قضيت الليل كله خارج المنزل.

ارتاعت للحظة ثم ارتجفت بقوة واستدارت مبتعدة.. لقد كانت فعلاً خارج المنزل طوال الليل. لكن من المستحيل أن يعرف هذا.. ربما تحاول أن تقول له، أن تشرح ما حدث. لكنه كان قد خرج.. فتشت عن ملابس نظيفة، وأسرعت إلى الحمام حيث اغتسلت بسرعة وغسلت شعرها.

عندما عادت إلى غرفتها مجدداً، جففت شعرها بالمجفف

الكهربائي وتركته منسدلاً، وارتدت فستاناً قطنياً أزرق بلون الزفير.. زينت وجهها بعناية وهي مرتاعة. كانت تبدو كالأشباح على الرغم من نومها الطويل.. لماذا هو غاضب؟ ألمجرد أنها كانت نائمة في النهار؟

كانت متوترة وهي تجوب المنزل تفتش عنه. أخيراً وجدته على الشرفة.. ونظر إليها بعينين قاسيتين خاليتين من المشاعر.

ـ هكذا أفضل. هل ستتناولين بعض العصير معي؟ تبدين وكأنك بحاجة إلى ما ينعشك.. سأصب لك كوباً.

نظرت إليه مرتجفة من فرط قلقها.. لقد كان بارداً عدوانياً.. لكن لماذا؟ بدا كذلك مرهقاً وكأنه لم ينم ليلة أمس.. تساءلت عما فعله بشأن ترخيص الزواج، لكنها لم تحب أن تسأله وهو في هذا المزاج الغريب.

سألها وهو يفرغ كوب العصير في فمه:

ـ ماذا فعلت وأنا غائب؟ هل تخلصت من الصداع؟

تمتمت:

ـ أجل.. شكراً لك.

تنفست بعمق.. ألا يجب إخباره بحال جيف؟ ولكن هل هناك حاجة لذلك؟ إضافة إلى هذا، لا جيف ولا سام قد يرغبان في ذهاب سايمون إلى المخيم. وسيغضب جيف منها، ومن المحتمل جداً أن يطرد سايمون سام من أرضه.. وفي هذه الحالة من المحتمل كذلك أن يرحل أخوها معه.

كان سايمون لا يزال ينتظر ردها، لكن ولحسن الحظ وفي تلك اللحظة بالذات، خرجت السيدة ساوث إلى الشرفة.. كانت امرأة لطيفة لها مظهر الأمومة، وتبادلتا الابتسام بينما كان سايمون يقدمهما.

مرت لحظات قبل أن تدرك أنه قد قدّمها على أنها فينيلا تريفلين فقط.. ألم يكن من المفترض أن يقول إنها خطيبته؟ جمعت السيدة الكوبين وإبريق العصير وعبّرت عن سعادتها لأنها عادت إلى هنا.

قالت فينيلا بعد ذهابها:

ـ تبدو لطيفة.. وأنت مسرور بلا شك لأنك استعدتها.

أحست بجفاف في حنجرتها وأرادت أن تسأله ما الأمر.. لكنه أدار ظهره وسار مبتعداً وكأنما لا شيء لديه ليقوله. كان رأسها فارغاً إلا من المخاوف التي تساورها وهي تراقبه ينزل السلم نحو الحديقة.. بدا كأن العالم كله بدأ يدور من حولها بطريقة خاطئة. لكن لماذا؟ سألت نفسها.. إنها لم تشعر هكذا حتى يوم جاءت إلى هنا عندما أقنعت نفسها أن لا تثق به مرة أخرى.. لكنه بطريقة ما بدّل موقفها تماماً، وهذا أفضل لأن حبها له تجدّد.. فهل يكرر التاريخ نفسه فيتخلى عنها مرة أخرى لسبب لا يعرفه إلا الله؟

شعرت بالدوار وبرغبة في البكاء.. فجلست تنظر أمامها بتعاسة.. كان كل شيء يسير على ما يرام بينهما. كانت مشكلتها الوحيدة جيف.. وها قد عادت المشكلة إلى الواجهة.. ربما سيختلف الأمر خلال العشاء.. وتجدّد أملها قليلاً.

لكن لم يختلف شيء.. بل ازداد سوءاً حتى كأنه لا تواصل بينهما، فجلست معقودة اللسان في وقت كان هو فيه بارداً ورسمياً، كانت الوجبة رائعة الطهو والتقديم، لكنها كانت قد فقدت شهيتها للطعام ولم تستطع الابتلاع بسهولة.

وضعت الشوكة والسكين من يدها، وجلست تنظر إلى الأسفل، سألها سايمون:

ـ ما الأمر؟ ألم يعجبك الطعام؟ ربما تفضلين تناول شيء معلب.

نظرت إليه بحيرة:

ـ أنا.. لا أعرف ماذا تعني.. أنا لست جائعة كثيراً، وهذا كل ما في الأمر.

ـ وهل هذه هي المشكلة فقط؟ إذن، وبما أنني فقدت بدوري شهيتي للطعام فلربما تخلينا عن الحلوى وتناولنا القهوة في غرفة

الجلوس.

وقف وهو يتكلم وخرج إلى المطبخ، ونهبت فينيلا بساقين مرتجفتين إلى غرفة الجلوس حيث انضم إليها بعد دقيقتين ومعه صينية قهوة.

صب فنجاناً لنفسه، ثم بدلاً من الجلوس وقف ينظر إليها عابساً.. حتى أنها أجفلت حين قال فجأة:

ـ لقد انتهى كل شيء فينيلا.

نظرت إليه غير مصدقة وأحست باللون ينضب من وجهها:

ـ ماذا؟ ما.. ما الذي انتهى؟

ـ من الواضح أن هذه الخطوبة المهزلة لن تنجح.. عرفت هذا تلك الليلة في غرفتك حين كدت أغويك.. كانت غلطة مني أن أجبرك على القبول، وأنا أتحمل كل المسؤولية.. قد لا تنظرين إلى الأمر من وجهة نظري، لكنني شخصياً لا أجد الرغبة لمجرد الرغبة أساساً جيداً للزواج.

ولا هي تنظر إليه هكذا وإذا لم يكن يشعر نحوها بشيء أكثر من الرغبة.. وارتجف فنجان القهوة، فوضعته على الطاولة.. وكرهته لأنه ضللها، لأنه وعدها بكل شيء.. وها هو ينسحب من كل شيء.. تمنت لو لم تعد هذا الصباح.. تمنت لو تستطيع ببساطة أن تختفي، فهي بعد دقيقة أخرى ستنهار وتبكي.. تبكي حقاً. نظرت إليه مخدّرة الحس، فوجدته يحدق فيها وكأنه يتوقع أن تقول له شيئاً.. لكن لا شيء يمكن أن تقوله.

كان كل شيء كخايوس رهيب ويبدو أنه ندم على طلبه الزواج منها.. تيقاني محقة.. فليس لديها ما يكفي لتقدمه إلى رجل مثله.. لا شيء أكثر من جاذب جسدي زائف.. لقد فكر جيداً وغيّر رأيه فيها.. وها هو يخبرها من دون تغليف المرّ بالسكر.. ولا داعي للاهتمام بمشاعرها!

غالب كبرياؤها ألمها، ثم وقفت وقالت له مرتجفة:

ـ لقد أوضحت وجهة نظرك سايمون.. ولن أدعي أنني فهمتك. ليس من الضروري أن يعجبني قولك.. يبدو أنني أنا من تسببت لنفسي بهذا.

ضحك بقسوة:

ـ أنا مسرور لرؤيتك الواقعية هذه.. من الآن وصاعداً اعتبري نفسك حرة.. وبإمكانك فعل ما تشائين تماماً.. بإمكانك الذهاب وتطوير علاقتك أو أي شيء آخر مع.. صديقك سام.

والتوى فمه ساخراً، ثم تقدم خطوتين نحوها، وأمسك كتفيها بخشونة، ليشدها بقسوة إليه، وينظر في وجهها.. ثم قال بصوت أجش:

ـ هل تذكرين تلك الليلة منذ أربع سنوات، يوم رميت نفسك عليّ في بستان البرتقال، هل هذا ما تطلبينه الآن بنظرتك إليّ بهاتين العينين الواسعتين البريئتين؟

بحركة سريعة ضمها إليه، ضغطت يديها على كتفيه تدفعه عنها.. لكن ذراعيه كانتا تشدانها إليه دون سبيل إلى الخلاص.. وتطايرت الدموع من عينيها، وأحست يدقات قلبه المتسارعة على صدرها.

تخلت عن محاولات الخلاص.. إنه أقوى منها، ولا شيء أمامها تفعله سوى الخضوع له.. أحست بإذلال لتجاوبها مع اندفاعه، لأنها تعرف جيداً أن لا علاقة له بالحب.

وتمرد كيانها كله على عدوانه غير المشوب بحب أو حنان، وبقوة غير مسبوقة دفعته عنها ووقفت تتعثر عبر الغرفة نحو الباب.

صاحت بصوت يرتجف:

ـ كيف تجرؤ.. كيف تجرؤ على ذلك؟.. أنا لا أريد شيئاً منك سايمون ماكسويل، لا شيء.. و.. و.. إذا اقتربت مني مرة أخرى سأصرخ إلى أن أهدم المنزل.

استدارت هاربة وأسرعت نحو غرفتها ولم يلحق بها. فصفقت الباب خلفها لتقف سريعة الأنفاس، والدموع تتدفق على وجهها.. لم تستطع أن تتذكر أبداً أنها شعرت يوماً بالخوف والعجز والتعاسة هكذا طوال حياتها.

تحركت بعيدة عن الباب، بأصابع مرتجفة، خلعت الفستان وارتدت البيجاما، ثم تسللت إلى الفراش حيث استلقت مستيقظة في الظلام.. وأخذت صور سايمون ونتف من حديثه والمشاعر التي حركها فيها، تتدفق دونما نهاية.. وكانت كقطع أحجية مستعصية من الصعب جمعها.. لم تستطع أن تصدق أنه يشعر نحوها بشيء سوى الرغبة.. وكرهت الكلمة، وكرهت الفكرة أكثر..

لقد تكلم عن شهر العسل.. وعن حفل الزفاف.. وعن استكشاف الواحد للآخر بعد الزواج.. ولقد سيطر مراراً على مشاعره.. حين كانا يخرجان معاً كان لطيفاً معها، حتى أنه عرض عليها أن يضع كتابه على الرف كي يتعارفا بشكل أفضل في أعماقه ولو لم يقل هذا، كان يحبها على طريقته، وهي تجزم بذلك.

إذن.. لماذا غيّر رأيه؟

يبدو أنها لن تعرف أبداً.

* * *

١١ ـ... وضربة على الرأس

حين استيقظت في الصباح الباكر تبين لها أنها قد ذرفت كل دموعها.. مع ذلك كانت هادئة، وقد قررت ماذا يجب فعله. إنه يريد الخلاص منها ولسوف تختفي بأسرع ما يمكنها وهذا سيخفف من عذابها.. و.. وستظهر له عدم اهتمامها به.. ستذهب إلى المخيم وتطلب من سام العودة معها لأخذ حقيبتها ثم ترحل معه. وهذه هي النهاية. ستذهب إلى بروكن هيل وتستقل الطائرة إلى سيدني.. يجب أن تجد عملاً، فجورج لن يسمح لها بالعودة، لكنها ستتجه جنوباً إلى مكان بعيد عن سايمون وعن باينترزهيل.

أما جيف، فلو كان بصحة جيدة وقادراً حقاً على السفر لقامت بجهد أخير لاقناعه بمقابلة سايمون من أجل الحصول على عمل.. بعد ذلك يعود القرار النهائي إليه.

نهضت وارتدت ملابسها، ثم وبأقل قدر من الضجيج، وضبت ثيابها وتركت حقيبتها جاهزة قرب باب الشرفة ليلتقطها سام.. كان الوقت لا يزال مبكراً، قبل موعد استيقاظ سايمون أو السيدة ساوث وقطعت الشرفة بصمت. اكتشفت أن الدراجة النارية لا زالت حيث تركتها، فجرتها بعيداً عن المنزل ثم انطلقت إلى المخيم.

وفيما كانت على الطريق، بدأت السماء تشرق بالنور تدريجياً.. وراحت ألوان الصباح الباكر الحمراء والزهرية تنتشر فوق الحقول. في مكان ما على الطريق، لوت مقود الدراجة حتى تتجنب حيواناً كان يقف

في منتصف الطريق جامداً كالحجر.. ثم استعادت توازنها بسرعة.. كم كان مثيراً للسخرية لو أن حادثاً وقع لها الآن في آخر يوم لها في بابنترزهيل!

شعرت بالغصة وهي تقترب.. فلم تكن الخيمتان هناك ولا يوجد أحد.. كبحت دموعها.. لا بد أنهما عادا إلى وايت كليفز. دارت حول المكان الذي كانا فيه، وكانت في غضون ذلك تحاول تكييف نفسها مع الواقع الجديد، فخطتها وصلت إلى حائط مسدود. وصار لزاماً عليها أن تعود إلى المنزل وتلبية رغبات سايمون وتقبل أي شيء يقوم به كي لا يطردها من المنزل الذي كان يوماً بيتها، حيث تصورت مرة بجنون أنها ستربي فيه أولادها وأولاده.

كانت على وشك أن تستدير وتعود حين رأت ورقة على الأرض، وفوقها حجر.. وكانت رسالة من سام، قرأتها بسرعة: «عزيزتي فينيلا.. سآخذ جيف إلى بروكن هيل.. يبدو أنه مصاب بالحصبة، والمزرعة ليست مكاناً مناسباً له حتى لو أراد الذهاب. لن نعود إلى هنا.. لقد خدعت جيف بوجود الأوبال هنا حتى تسنح لك الفرصة لإقناعه، لكن دون فائدة.. أليس كذلك؟ أعتقد أن عليّ نسيانك.. طالما أنت سعيدة مع الرجل الذي تحبينه.. المخلص.. سام».

إذن هي على حق، فلا شيء هنا. مسكين جيف، لقد عمل بمشقة، لا لأجل شيء.. الآن على الأقل هناك من يعتني به جيداً في المستشفى. وأحست بالامتنان لسام بسبب ذلك..

دست الرسالة في جيب بنطلونها وعادت إلى الدراجة. لم يبق لها إلا الأمل أن لا يطيل سايمون تعذيبها، أن يكلف أحداً بإيصالها إلى بروكن هيل اليوم.. كان يجب أن تتوصل معه إلى اتفاق ليلة أمس.. لكن حتى الآن في زاوية من زوايا تفكيرها، كان هناك أمل عاجز أنه قد يقرر أنه لا يستطيع العيش دونها.. وأن كل ما جرى كان غلطة.. وأنهما سيعودان إلى نقطة البداية مجدداً.

كانت تعرف أن هذا لن يحدث طبعاً.. وفيما كانت تتقدم، كانت عيناها تغرورقان بالدموع حتى أنها لم تعد قادرة على الرؤية أمامها، ولم تكن تهتم على أي حال. في مكان ما على الطريق، انحرفت عن طريق المزرعة وأخذت الدراجة تهتز وتقفز بها بخشونة عبر الحقل.. وهذا ما أعادها في النهاية إلى وعيها حيث اكتشفت نفسها وسط قطيع من الخراف.. لكن يقظتها أتت متأخرة، فرغم أنها خففت السرعة إلا أن الإطار الأمامي صدم جذع شجرة ملقاة على الأرض، وطارت في الهواء.

الأفكار الأخيرة التي تسارعت في ذهنها قبل أن يغلفها الظلام، كانت أنها ستسقط على رأسها وتموت.

حين استعادت وعيها، كانت مستلقية على الفراش داخل غرفتها، وسايمون بنحني فوقها، وعلى وجهه تعبير لم تره من قبل: حنان.. لهفة.. وكأنه مهتم كثيراً بها.. ما الذي حدث؟ أي وقت هذا؟ للحظات كان دماغها مخدّراً تماماً.. ثم تذكرت.. ذلك العبور المجنون في الحقل.. قطيع الغنم.. الارتطام بجذع الشجرة وبثيتها أنها ستقتل.

ارتفعت الدموع إلى عينيها، وقالت مرتجفة: أوه.. سايمون.

ـ فينيلا.. حبيبتي.. هل أنت بخير؟

انحنى ولامس شعرها بشفتيه؛ كان صوته أجشاً غير ثابت، وعيناه مليئتين بالقلق...

هل هي بخير؟ تحركت بحذر. اختبرت ساقيها.. ذراعيها.. عنقها.. يبدو أن كل شيء سليم.. مع أنها تحس بالصدمة.

تمتمت:

ـ أنا بخير.. كيف.. كيف وصلت إلى هنا؟

ـ أنا جئت بك. كنت أركب الخيل حين دخلت الحقل ثم صدمت شيئاً.. إنها معجزة أنك لم..

صمت فجأة.. لم تقتلي! أجل إنها معجزة.

أمسك يدها بيده، وبقوة الاندفاع التي اجتاحتها أدركت أن لا خطب فيها.. كل شيء يمكن أن يختفي كالسحر إذا أخذها بين ذراعيه وضمها إليه.

لكنها كانت تخدع نفسها.. فمن الطبيعي أن يقلق عليها بسبب الحادثة المروعة.. لكن لا شيء تغير.. قالت:

ـ أنا آسفة لهذا الإزعاج.. سأكون.. سأكون على ما يرام لو أخذتني إلى بروكن هيل اليوم.. كنت أحاول ترتيب أموري لكنني لم أنجح.. مع أنني وضعت كل أغراضي.

ساعدها على الاستلقاء مرة أخرى، وقال بصوت أجش:

ـ لا تتكلمي عن الرحيل فينيلا.. هناك أمور عالقة بيني وبينك يجب أن نحلها.. لكنني مدين لك باعتذار كبير.. كنت أصارع نفسي هذا الصباح حين خرجت على صهوة الجواد محاولاً التكيف مع قرار التخلي عنك. والحمد لله أنني قادر على نسيان هذا الآن.. أحبك كثيراً.. وتعرفين هذا.

نظرت إليه بعينين زرقاوين غير مصدقتين.. هل تتخيل الأشياء؟ هل أصابت رأسها؟ ألا زالت ملقاة في الحقل تحلم بكل هذا؟ تلك النظرة في عينيه، حنانه وهو يلامسها، اعترافه بحبها؟ لا يمكن أن يكون كل هذا صحيحاً.. أغمضت عينيها وأحست بالدموع الحارة تجري على خديها.. وسمعت نفسها تتمتم:

ـ وأنا أحبك سايمون.

كانت كلمات لا تتكرر بسهولة لو أرادت ذلك.. لكنها الآن تحس بالارتياك ولم تستطع كبح الكلمات.. ولم تفهم حقاً ما يجري.. ولماذا هو مدين لها باعتذار.. لكن، الآن لا شيء يهم إذا كان ما سمعته حقيقياً.. مدت ذراعيها حوله تجذبه إلى أن أصبح ملتصقاً بها.. فهمس باسمها: «فينيلا» واحتضنها بكل حب وحنان.

بعد هذا بوقت طويل، جلس وقال بخشونة:

ـ يجب أن نرتاح بعد الحادثة.

احمر وجهها.. لو أنه يعرف أن احتضانه لها يفيدها أكثر من أي راحة أخرى.. قالت بخجل:

ـ لا بأس سايمون.. أنا بخير منذ أن عرفت أنني لست مضطرة للرحيل، لكن ما الذي دفعك لتغير رأيك؟

أمسك يدها بيده:

ـ لأنني وجدتك سليمة دون أي كسر ولا زلت حية، عرفت لحظتها أنني لن أستطيع تركك.. وبالمناسبة يجب أن تشكري إحدى الغنمات لتخفيفها وقع ارتطامك بالأرض.

ابتسمت:

ـ حقاً؟ لكنك لم تشرح لي لماذا أردت الانفصال عني؟

ـ يجب أن أقوم باعتراف كامل إذن.. وصدقيني، أنا لست فخوراً بنفسي. لقد قرأت الرسالة التي كنت تضعينها في جيبك قبل أن تفتحي عينيك قبل لحظات.. لقد ذهبت لرؤية أخيك في حقل التل.. أليس كذلك؟

هزت رأسها إيجاباً، تحس باللذب..

ـ لقد كان يبحث عن الاويال.. منذ سنوات وجدنا بعض الأحجار السوداء هناك.. وأعرف أنه كان من الواجب عليّ إعلامك بهذا، لكنه طلب مني الصمت.. فهو لا يملك ترخيصاً كما تعرف.

ـ وكأنني كنت سأهتم لهذا!

ـ حسناً.. لم يكن الأمر هكذا فقط.. لقد اعتقدنا أن بالإمكان الضغط عليه ليعمل هنا..

نظر إليها بقسوة:

ـ لا تقلقي.. على أخيك تدبير أمر حياته بنفسه.

تنهدت:

ـ هذا ما أدركه الآن.. وأود الاتصال بالمستشفى فيما بعد لأطمئن عن حالته.

ـ ستفعل هذا بالتأكيد.. أتريدين أن أفعل هذا فوراً.. أم.. أنهي اعترافي أولاً؟

ـ بل اعترف..

ابتسم بخبث:

ـ في الحقيقة، كنت أعتقد أنك تقابلين سام حين أكون بعيداً عنك.

عضت شفتها:

ـ سام! لكن لماذا؟ من أين أتتك هذه الفكرة؟ أنت.. لم تستفهم يوماً عن الأمر.. كنت سأقول لك..

تنهد:

ـ لم يخطر هذا ببالي إلا حينما كنت أوصل بيل وتيفاني إلى بروكن هيل. لقد زعمت تيفاني وبكل عفوية أنك تقابلين.. صديقك كثيراً.. لكنني كذبتها، فطلبت من بيل أن يشهد معها، فأكد أنه وتود رآك مع رجل ملتح يخيم قرب التل.

ـ ولجّيف لحية أيضاً.

إذن هذا هو سبب برودة ياتي نحوها.. فهي كذلك تصورت أنها تقابل «صديقها».. يا للأمر الرهيب!

كان الألم يعتصر قلبها لأنه صدّق تيفاني بدلاً من الثقة بها، فقالت:

ـ كنت تعتقد أنني من ذلك النوع من الفتيات سايمون؟

ـ لا تلوميني.. أنت فتاة جذابة جداً، وكنت أكافح لأفوز بك.. وكنت تقاومين.. وفي حال لم تفهمي بعد، أنا غيور جداً. في الواقع.. عدت بالأمس ليلاً إلى المنزل.. لأتأكد ما إذا كنت لا زلت هنا ولأتكلم معك وأقنع نفسي أنك لا تقابلين رجلاً آخر من خلف

ظهري، ولم أجدك هنا. انتظرت حتى الفجر، وبإمكانك تصور استنتاجاتي.. لم أعد أرى سوى اللون الأحمر، وأحسست برغبة في الجريمة.. كنت على استعداد لأن أسارع إلى ذلك الرجل وألكمه على وجهه.. بدلاً من ذلك عدت إلى بروكن هيل وكنت أعرف أن عليّ تمالك أعصابي قبل أن أفعل شيئاً أندم عليه.

نظرت إليه برعب ووضعت رأسها على صدره:

ـ أوه.. سايمون.. لو أنك جئت إلى التل! كنت مع جيف.. لقد أصيب بتلك الحمى الرهيبة وكان وحده.. لهذا لم أذهب معك.. كان يجب أن أنبئك بهذا. الآن فقط اكتشفت خطأي.. كنت قلقة وكان يرفض المجيء إلى هنا.

ـ وهل بقيت معه طوال الليل وحيدين؟ يا حبيبتي المسكينة!

تحركت عنه قليلاً:

ـ أعتقد أنه دوري في الاعتراف.. لقد حضر سام في المساء.. ولا أستطيع الادعاء أنني لم أكن مسرورة لرؤيته.. لم أكن أعرف ماذا سأفعل، وتولى هو الأمر عني وطيّب خاطري.. وغسل جسم جيف بالماء البارد، ثم وعدني بأن يأتي به إلى المنزل إذا كان هذا ضرورياً.. ولم يكن معي سوى الدراجة.. لقد لزمت مكاني ليلاً فالظلام كان شديداً وما كان ممكناً رؤية الطريق.. نمت في خيمة سام وحدي.. هل تصدقني؟

تأوه..

ـ بالطبع أصدقك.

وضمها بين ذراعيه مجدداً.. ثم تركها ليقول ضاحكاً:

ـ لن تصدقي هذا فيتيلا.. لكن على الرغم من كل شيء حصلت على إذن الزواج. ومن الغريب أن ينتهي الأمر إلى هذا.. ذلك اليوم الذي ذهبت فيه لألتقاك في بروكن هيل، لم يكن في نيتي إرجاعك إلى هنا.. مما شاهدته في كوبربيدي، كنت مقتنعاً أنني غير مهتم بك..

لكن ما إن رأيتك مجدداً، وتحدثت إليك، نظرت إلى هاتين العينين الجميلتين وعرفت أن الانجذاب إليك لا زال موجوداً بل أقوى من قبل، ولم أستطع التخلي عنك.

تنفست:

ـ أنا مسرورة لأنك لم تدعني أذهب.. كنت أقسمت أنني لن أعود إلى حبك مجدداً. لقد جرحتني كثيراً من قبل.. أوه.. أنا أفهم الآن، لكنني لم أكن أفهم يومها.. وظننت أنني لن أغفر لك.. وبقيت أقنع نفسي أنني أكرهك.. لكنني كنت أضمر العكس في قرارة نفسي.. وما كان عليك سوى أن.. أن تنظر إليّ، ليتحرك كل كياني.

قال مبتسماً:

ـ إذن يبدو لي أنه من الأفضل لنا أن نعوّض ما فاتنا من أوقات ضائعة. أليس كذلك؟ كم من المؤسف أننا الآن في الصباح.

هزت رأسها بلطف:

ـ حين تنظر إليّ هكذا سايمون.. لا أعود أعرف في أي وقت من النهار نحن.

ولفت ذراعيها حوله بشدة.

***

أتمنى أن تكونوا قضيتم وقتاً ممتعاً
مع رواية
أرض الضياع
بلا عنوان

أرض الضياع

عندما التقت فينيلا للمرة الأولى بسايمون كانت ما تزال صغيرة في السابعة عشرة ... والآن بعد أربع سنوات من البعاد أدركت أنه لم يتغير شيء ، فما زال سايمون حبها الأول والأخير ، ومازالت ذكرى رفضه لها لا تفارق خيالها وتؤجج نار الانتقام في داخلها ...

كانت فينيلا تعلم جيداً أن عاقبة هذا الانتقام ستنقلب عليها ولكنها لم تجد خياراً آخر فسايمون يريد منها كل شيء ويبخل عليها بالشيء الوحيد الذي تريده ... قلبه !! ...

www.Beauty.com